تنزيه الدين وحملته ورجاله

مما افتراه القصيمي في أغلاله

تأليف العلامة المفضال

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي

علامة القصيم حفظه الله آمين

طبع على نفقة

محمد نصيف بجده — الحجاز

طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية
لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيراً .

(أما بعد) فإنى قد وقفت على كتاب صنفه عبد الله بن على القصيمى سماه (هاذى هى الأغلال) فإذا هو محتو على نبذ الدين والدعاية إلى نبذه والانحلال عنه من كل وجه وكان هذا الرجل قبل كتابته وإظهاره لهذا الكتاب معروفاً بالعلم والانحياز لمذهب السلف الصالح وكانت تصانيفه السابقة مشحونة بنصر الحق والرد على المبتدعين والملحدين فصار له بذلك عند الناس مقام وسمعة حسنة فلم يرع الناس فى هذا العام حتى فاجأهم بما فى هذا الكتاب الذى نسخ به وأبطل جميع ما كتبه عن الدين سابقاً وبعد ما كان فى كتبه السابقة معدوداً من أنصار الحق ، انقلب فى كتابه هذا من أعظم المنابذين له ، فاستغرب الناس منه هذه المفاجأة الغريبة لسوابقه ولسنا بصدد التعرض للأسباب التى دعته لكتابة هذا الكتاب ، وكثير من الناس يظنون به الظنون التى تدل عليها القرائن وليست بعيدة من الصواب لظن بعضهم أنه ارتشى من بعض جهات الدعاية الأجنبية للادينية ، ولكن لما كتب هذا الكتاب وطبعه ونشره بين الناس وجعله دعاية بليغة لنبذ دين الإسلام ، بله غيره من الديانات والمبادئ الخلقية فكان هذا أكبر عداء ومهاجمة للدين وجب على كل من عنده علم أن يبين ما يحتوى عليه كتابه من العظائم خشية اغترار من ليس له بصيرة بكلامه حيث كان

معروفاً قبل ذلك من علماء المسلمين ولم يدر ما طرأ عليـه من الانقلاب وإننا نعلم أن الذين يقرؤون كتابه ويقفون عليه ثلاثة أقسام :

(القسم الأول) من له بصيرة ومعرفة وتفريق بين الحق والباطل ومعرفة بحقيقة الدين ، فهذا لا يحتاج إلى التنبيه بل مجرد وقوفه على كلامه وفهمه يـكفيه مطلعاً ببطلانه وفساده لأن هذا القسم من الناس لا تغرهم الألفاظ المزخرفة ولا الاستدلالات المزورة المبهرجة .

(القسم الثانى) من وقف على كتبه السابقة ، ثم على كتابه هذا ورأى ما فيها من الاضطراب والتناقض والتضارب وعدم الاستقرار على قول ورأى واحد، يقول القول اليوم فيهدمه بالغد ويبنى ما هدمه ويهدم مابناه، فبينما تراه يدعى أنه ينصر الدين ويغار على المسلمين إذ تراه ملحاً فى هدم أصول الدين وقواعده حاملاً على حَمَلته متهكما بالعلماء والمرشدين مؤيساً لهم من الرقى فى الحياة ما داموا متمسكين بدين الإسلام . وبينا تراه يحط على أئمـة الدين ومصابيح الدجى إذ يصب الثناء والمدح على أئمة الـكفر وزنادقة الملاحدة ويعظمهم غاية التعظيم، وبينا تراه يذم القديم ويحث على رفضه ومراده به ماجاء به الدين علوماً وأخلاقا وأعمالا ويحث على الأخذ بـكل جـديد إذ تراه متناقضاً يحث على اتباع المنحرفين كأرسطو وأفلاطون والفارابى وابن سـينا ونحوهم من المتقدمين والمتأخرين إلى غير ذلك من مناقضاته التى توجب للناظر فيها أن يهدر كلامه ويسقطه من الاعتبار ولو لم يكن من أهل العلم والإبصار .

وأما (القسم الثالث) الذين لابصيرة لهم يميزون بها بين الحق والباطل ولا وقفوا على تناقضه وعدم استقراره على رأى واحد فإنهم يخشى عليهم من الاغترار بكلامه لأنهم يسمعون عبارات مزخرفة واستدلالات مموهة لأنه يردد المعنى الضئيل بعبارات كثيرة وأساليب متنوعة ونحن لا ننكر ما فى كلامه وكتابه من المعانى الصحيحة المطروقة

التى لم يزل أهل العلم يقولونها ويبدونها من الحث على تعلم العلوم وفنون الصنائع النافعة وما فيه من ذم الجهل وآثاره الضارة وما فيه من تأخر المسلمين فى الفنون العصرية وما فيه من وصف تفوق غيرهم فى فنون المادة، فقد ذكر أهل العلم من هذه الأمور أكثر مما ذكر هذا الرجل ولم يبين ما يبنوه ولا شرح الداء الذى أصاب المسلمين حقيقة ولا كيفية الدواء.

والمقصود أن ما فى كتابه من الحقائق لم يكن أول من قالها بل لم يزل أهل المعرفة يقولون ما هو أتم منها وإنما المنكر القطيع والطامة الكبرى ترويجه بهذه الأمور على من لم يعرف الحقائق وجعلها له كالأساس الذى يحمل منه على الدين وأهله الحملات المنكرة المتكررة.

مقدمة ونظرة إجمالية

في محتويات ومواضيع هذا الكتاب

من نظر فيه وتأمله حق تأمله عرف أنه ما كتب أشد وطأة وأعظم عداوة ومحاربة للدين الإسلامي ومنفراً منه وأنه مااجترأ أحد من الأجانب وغيرهم بمثل ما اجترأ عليه هذا الرجل ولا افترى مفتر على الدين كافترائه ولا حرّف أحد له نظير تحريفاته، وما صرح أحد بالوقاحة والاستهزاء والسخرية بالدين وأصوله وتعاليمه وأخلاقه وآدابه وحَمَلته كاستهزائه وسخريته فإنه اشتمل على نبذ الدين ومنابذته ومنافقته ثلاثة لاتبقى من الشر شيئاً إلا تضمنته فإنه صريح في الانحلال عن الدين بالكلية وخروج تام عن عقائده وأصوله فضلا عن فروعه وهو أكبر دعاية للالحاد . ومقاومة للدين وأهله وفيه من البهرجة والتزويرات التي جعلها في صورة نصر الدين ما يعد من أعظم النفاق والكيد والمكر للاسلام وأهله (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) .

وجملة ذلك أنه تلقى عن جميع أعداء الدين ما وجهوه إلى الدين وإلى أهله من جميع ألوان الشُّبه التي تدعو إلى الكفر والتكذيب بالدين وزاد عليهم زيادات واستدرك أموراً لم يصلوا إليها فإن النافين للباري الجاحدين له كزنادقة الدهرية وفرعون وأشياعه الذين صرحوا بجحد رب العالمين بالكلية وتكذيب رسله جهراً وعلناً ثم أظهره زنادقة الاتحاديين بأسلوب آخر وهو أن الوجود كله واجبه وممكنه واحد بالعين فلا ثم رب ولا مربوب ولا خالق ولا مخلوق الجميع شيء واحد، ثم أظهره هذا الكاتب صاحب كتاب الأغلال بأسلوب أشنع من ذلك كله حيث زعم أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق وأن من فرق بينهما من الأنبياء والرسل وأهل الأديان فهو غالط ضال عنده. أعداء الرسول تنوعوا في تكذيبه فقالوا ساحر وشاعر وقالوا مفتر كذاب . وزنادقة الفلاسفة قالوا إن الرسل

كذبوا لمصلحة الناس وخيلوا للناس تخييلات خالية من الحقائق . وهذا صاحب الأغلال جاء بوجه آخر حيث حلل بزعمه حياة النبي صلى الله عليه وسلم ذلك التحليل الخبيث الباطل بأنه يخلو بالطبيعة ويناجيها وتأخذ بلبه وعقله ويظل ليله ونهاره نازعا إليها وقد افتتح بها رسالته بخلوته بها ومناجاتها فى غار حراء وختمها به حيث كان ينزع إليها وهو فى سياق الموت ، ويقول فى الرفيق الأعلى فهـــذا التحليل الخبيث الذى لا يروج على الصبيان قد أخــذه بعينه من دعاة النصارى ومضلليهم إذ قالوا هذا القول الذى هو التكذيب المحض فعند صاحب الأغلال ليس ثَمَّ وحى ولا مناجاة لله ولا نزول جبريل بالوحى من عند الله وإنما ذلك خيال لا حقيقة فظن بجهله أنه بهذا الكلام المموه يسلم من الشناعة .

أعداء الرســل من الدهريين قالوا : (ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) وهذا القصيمى يقول : ماهى إلا الطبيعة تتفاعل وتتطور وتدير أمر العالم وتدبره وتنظم الأمور الجليلة والدقيقة وأنكر قضاء الله وقدره ورجّـع ذلك إلى العلم بانتظام الطبيعة وهذا إنــكار منه لله ولأفعاله ولصفاته. وكما أنــكر توحيد الربوبية فقد أنــكر توحيد الإلهية والعبادة ولم يرتض بمــا قاله المشركون بل أنــكر عبادة الله بالــكلية وأنــكر الافتقار إليــه وتهكم بالمفتقرين إلى ربهم الداعين لله المخلصين لربهم وملأ كتابه من السخرية بهم، وكما أنــكر الربوبية والإلهية والرسالة إذ فسرها بذلك التفسير الخبيث الذى يرجع إلى نفى الرسالة فقد أنــكر عقوبات الله ومثوباته الدنيوية والأخروية وأنــكر أسبابها وسخر بالمؤمنين بها . وكذلك رمى جميع طبقات الأمة وخص منهم العلماء الأعلام وهــداة الأنام بضعف العلم والعقل والرأى وأوجب الــكفر بهم وبعلومهم وبما قالوه وصنفوه من كتب الحديث والتفسير والفقه والأصول والفروع وجعلهم مجرمين يستحقون العقوبة وأهدر فضائلهم بالــكلية،وأكبر من ذلك وأطم أنه باهَتَ وصرح بتحقير الأنبياء تحقيراً لم يصل إليه ملحد إذ صرح بأن جميع الرسل

والأنبياء والهداة من أتباعهم لم ينفعوا الناس فى الحياة بشىء من النفع ولم يقدروا أن يصيروا فيها مخلوقات متألقة لهم فضائل يهتدى بها وكما رمى الأنبياء وأهل الأديان الصحيحة كلهم ولم يستثن منهم أحداً فإنه عظم زنادقة الملحدين الأولين منهم والآخرين وأوجب الأخذ عنهم والحذو على منوالهم، وحتم نبذ القديم الذى فى مقدمته الكتاب والسنة وما عليه الصحابة والتابعون وأوجب أن تتخذ ثقافة جديدة إلحادية ينبذ فيها الدين الصحيح ويكفر به وبجملته ويعتقد أن الصحابة فى طور الأطفال أو طور قريب من طور الحيوانات السذج وأنهم لا يعلمون الأمور على حقيقتها وإنما يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا. وإنما العلم والفضل منحصر عنده فى الأجانب الافرنج. وسلك مسلك الاباحيين فى التهتك والإباحة وكذب ما جاء فى الكتب وعلى ألسنة الرسل من قصة آدم وزوجه وذريته فزعم أن الإنسان الأول مخلوق شبيه بالحيوان لا يقدر على النطق ولا التخاطب بوجه من الوجوه، ثم انتقل إلى طور الإشارات فى مدد طويلة ثم بعد مدد طويلة جداً تدرج شيئاً فشيئاً حتى انتقل إلى طور التخاطب بالألفاظ المبهمة الساذجة. وكذب ما جاءت به الرسل أن الله علم آدم الأسماء كلها وأسجد له ملائكته، واتبع سفهاء الخرافيين وكذب جميع النصوص من الكتاب والسنة الواردة فى التزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة وفى فضل الصبر على المصائب وثواب أهلها واستهزأ بها وبأهلها وملأ كتابه من السخريات والاستهزاءات وكل هذه الحقائق وما هو أكثر منها قد تضمنها كتابه المذكور كما سنشير إليها مفصلة مشارا إلى صفحاتها من كتابه المذكور.

فصـــل

ولما كان هذا الكتاب موجهاً إلى قلب الدين وروحه وإلى هدم علومه وأصوله وقواعده وجميع مقوماته، وكان هذا الدين العظيم بذاته وحقيقته واشتماله على أعظم الحقائق وأجلها وأنفعها وعلى البراهين الساطعة والأنوار المتلألئة يدفع ويبطل كل ما يقوم فى وجهه من الشبهات ويقاومه من الأقوال الباطلة أحببت أن أشير إشارة لطيفة قبل إبطال قول هـذا الكتاب إلى بعض محاسن هذا الدين وأنه لا سبيل لأحد من الخلق أن يبطل شيئاً من أصوله وقواعده وأسسه ، وأن بهـذا الدين العظيم تزول السموات والأرض والجبال وأصوله راسيات وقواعده ثابتات وأنواره مشرقة وبراهينه للباطل محرقة، فهو الميزان الأعظم الذى توزن به الأمور الدينية والأمور العقلية والأمور الدنيوية، وأين عند ذلك منافاتها لقول هذا الكاتب . وهذا الرجل لا بد قد شعر أن الناس لا يشكون ولا يمترون فى منافاة كتابه وأقواله للدين فتراه فى مطاوى كتابه يعتذر ويدعى أنه مؤمن بالله ورسوله وبرىء من الإلحاد . أفيظن أن الناس يقيمون لاعتذاره وزناً ، وكيف تقع اعتذاراته الطفيفة التافهة فى جانب حملاته الشديدة على الدين والحث البليغ على نبذه وعلى سلوك طريق الملحدين . كيف يقبل اعتذار من هو مجد مجتهد فى هذه المواضيع الخبيثة الباطلة فهل هذا إلا من باب السخرية والتمويه على الأغرار ، ونحن نكتب ما يجب علينا كتابته من رد اعتداءاته على الدين والتنبيه على بطلانها كما هو الواجب المتعين على كل مسلم ، ونرجو الله أن يعيده إلى الحق بالتوبة والتنصل ونقض ما كتبه واجترأ عليه . (واعلم) أن مدار ما بنى عليه بحوثه الباطلة واحتج لها وبرهن عليها ورطنها أمران (أحدهما) أن المسلمين فى هـذه الأوقات الأخيرة متأخرون عن غيرهم فى الفنون العصرية والاختراعات والصناعات الراقية وعلوم الطبيعة بأنواعها . (والثانى) أن غيرهم مهر فى هذه الأمور مهارة لا تتصورها الأفكار، ثم بنى على هذين

الأمرين جميع بحوثه الباطلة ورتب على ذلك أنه يجب رفض ما عليه المسلمون من عقائد وأخلاق وعلوم وأعمال ، وقرر فى كتابه أن الدين الإسلامى أغلال وقيود تقيد الإنسانية عن التقدم والارتقاء فى درج الكمال، وفى مقابلة ذلك حث ورحب بكل ما أتى به الآخرون من مفاسد وعقائد وأخلاق وأعمال وخيروشر وقرر أن هذا هو الرشد والفلاح وبدء النجاح . وكتابه كله يدور على هذا الأصل الذى يعرف كل من له أدنى بصيرة أنه بنيان على شفا جرف هار وأن أقل نظر يوجه إليه وأقل برهان يقابله يبطله وأن هـذا الاستدلال هو بالترهات والبهرجات أولى منه بالحقائق الثابتة ؛ فإذا تبين بطلان أصله الذى بنى عليه جميع بحوث كتابه بطل كل ما بنى عليه ، فنشير هنا إلى هذا ثم نتتبع ما اشتمل عليه كتابه من المواضيع الفاسدة (فنقول) : الدين الإسلامى هو دين العدل والرحمة والعلم والحكمة وهو دين المدنية الزاهرة المبنية على صلاح القلوب والأرواح وصلاح الدين والدنيا ، وعلى السعى إلى الكمال والرقى فى معارج السعادة والفلاح وهو الدين الذى حث على كل خير ونفع وصلاح وإصلاح وهو الدين الذى ساوى بين طبقات الخلق فى القيام بالعدل والحقوق فلم يبح الظلم بوجه من الوجوه فالغنى والفقير والشريف والوضيع والقوى والضعيف والعزيز والذليل كلهم عنده سواء قد شملهم عدله ورحمته وهو الدين الذى يحث على القيام بما خلق الله الخلق لأجله وهو عبادة الله وحده والانابة إليه والتعبد له ظاهراً وباطنا ودوام الافتقار إليه ، وهو الدين الذي يأمر بجميع معالى الأخلاق ومحاسنها وينهى عن جميع مساويها وأراذلها ، وهو الدين الذى تصلح به الأحوال فكما حث على القيام بإصلاح الدين فقد حث على القيام بمصالح الدنياالنافعة وكما أمر بتعلم العلوم والفنون التى ترجع إلى الانابة إلى الله وعبوديته فقد حث على تعلم العلوم والفنون التى تعين على قيام حياة الأمة وإصلاح أحوالها واستعدادها لمقاومة الأمم الأخرى ومغالبتها والوقاية من شرورها وأضرارها ، وكما أمر بتعلم علوم التوحيد والعقائد والأخلاق التى ترجع إلى صلاح القلوب والأرواح فقد أمر

بالتعلم والتفقه فى الأحكام التى ترجع إلى القيام بالعبادات الظاهرة والمعاملة العادلة والقيام بجميع الحقوق المتنوعة على وجـه الوفاء والعدل وموافقة الحـكمة وكذلك أمر بتعلم الفنون الحربية والآداب العسكرية ، والاستعدادات السياسية والصناعات النافعة فقال تعالى فى جانب مقاومة الأعداء ومهاجمتهم : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وهذا شامل لـكل ما تتعلق به الاستطاعة من أنواع العلوم والفنون العسكرية الموجودة فى وقت التنزيل والتى تحدث إلى يوم القيامة من قوة عقليـة وسياسية داخلية وخارجية وصناعات نافعة وتعلم رمى وركوب وسائر الفنون التى لا تتم مقاومة الأعداء إلا بها ، وقال فى جانب المقاومة : (يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم) فأمر المؤمنين بأخذ حذرهم من عدوهم وهو التوقى والوقاية والاحتماء من عدوان الأعداء بكل وسيلة وسبب تحصل به الوقاية من شرهم ومكائدهم وأسلحتهم ومداخلهم ومخارجهم وذلك يختلف باختلاف الأحوال والأزمان . وكل آية أو حديث فيه الأمر بالجهاد والحث عليه فانه يدخل فيه القيام بجميع الشئون التى تعين على الجهاد ويختلف ذلك باختلاف الأحوال والأزمنة والأمكنة ، وهذا من البراهين على أن هذا الدين والشريعة تنزيل من حكيم حميد عليم بكل شىء فإن إرشاداته العالية كما ترى تصلح لـكل زمان ومحل بل لا تصلح الأمور إلا بها ، وكما أنه أمر بالاستعداد بالقوة المادية فقد أمر بالاستعداد بالقوة المعنوية حيث أمر الناس وحثهم على الاجتماع والالفة بين المسلمين والاتفاق على جميع مصالحهم الـكلية كما أمر بذلك فى المصالح الجزئيـة فى كل ما يأتون وما يذرون فى أحوالهم الداخلية وأحوالهم الخارجية، وأمرهم بالإيمان الـكامل والتوكل القوى على الله وتمرين النفوس على القوة والشجاعة والتدرب فى كل أمر نافع فى الدين والدنيا ؛ فالدين يحثهم على القيام بجميع الأسباب النافعة التى تصل إليهـا قواهم واستطاعتهم وعلى التوكل على مسبب الأسباب وخالقها ومدبرها ، ويبين لهم أن الأمرين متلازمان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر فالأسباب وإن عظمت وقويت فإنها محكومة بقضاء الله وقدره ولا يتم للقائم بهـا أمره

من كل وجه إلا بتوكله واعتماده على الله تعالى مسببها ومصرفها والقابض على ناصيتها وأزمتها، ويخبركم الدين مع ذلك أن التوكل وحده بدون فعل الأسباب وبدون القيام بالمقدور من الشئون الدينية والدنيوية ليس بتوكل حقيق بل هو ضعف وعجز، فكلما قوى توكل المسلمين على ربهم قويت أعمالهم النافعة وقويت هممهم، وانبعثت عزائمهم إلى جميع مصالحهم، والرب تعالى لقيامهم بالأمرين وتحقيقهم للتوكل عليه واجتهادهم فى فعل الأسباب يعينهم وييسر لهم أمورهم ويحقق لهم رجاءهم وينزل عليهم من نصره ومعونته وتأييده بحسب قيامهم بالأمرين. والنصوص من الكتاب والسنة تحث على الأمر بالتوكل على الله فى كل الأمور، والأوامر بالأخذ بجميع الأسباب النافعة لا تنحصر بل الدين كله قيام بالأسباب وتوكل على مسببها ومصرفها. وهذا الذى نبهنا عليه من الدين الإسلامى هو من الكمال الذى لا يقاربه كمال، ويسقط به ويضمحل قول هذا الكاتب الذى يقول إن الإيمان بقضاء الله وقدره والتوكل على الله يوهن المسلمين ويضعفهم وأنه يجب عليهم ترك ذلك وأن التوكل على الله هو العلم بنظام الطبيعة، وكذلك الإيمان بالقضاء والقدر كما صرح بذلك فى صفحات (١٧) و (٢٩) و (٢٦٨) و (٣١٥) من كتابه؛ ويتضح بذلك أن المسلمين حقيقة المتبعين لإرشادات دينهم وتعاليمه هم المتوكلون على الله حقيقة وأنهم أقوى الخلق على فعل الأسباب امتثالا لأمر ربهم وطلباً لمصالحهم واستمداداً من قوته وارتقاباً لثوابه، وأن الدين الإسلامى يبطل الطريقين الذميمين: طريق العجز والضعف الذى يتعلل صاحبه أنه متوكل على الله وإنما هو مهين ساقط الهمة معتذر بما لا يعذر به، وطريق الملحدين المعطلين الذين يعتمدون على الأسباب ويرونها مستقلة منقطعة عن قضاء الله وقدره وأن الله لا يتصرف فى الأسباب عندهم بإيجاد ولا تقوية ولا إضعاف ولا بمنعها ولا له قدرة على معارضتها كما قرره صاحب هذا الكتاب فى ثنايا كتابه خصوصاً فى الفصل الأخير المعنون بمشكلة لم تحل، وهذا هو التعطيل المحض والنفى لربوبية الله ولأفعاله، وهو فى الحقيقة مذهب الدهريين الطبائعيين الجاحدين لله

بالـكلية، وقد سلك أيضاً مسلك الدهريين فى هذا الذين يقولون ما هى ألا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، المنكرين للثواب والعقاب حيث أنكر أن الإيمان والتقوى والعمل الصالح سبب للثواب العاجل والآجل وأن الـكفر والفسوق والعصيان أسباب للعقوبات العاجلة والآجلة ، وتهكم بذلك وبالقائلين به المعتقدين له كما صرح به ورده فى الصفحات (٣٥) و (١٦٥) و (١٧٨) و (٣١٥) و (٣١٩) و (٣٢٥) والسبب الوحيد عنده فى المصائب الدنيوية وضدها إنما هى الأسباب المادية فقط وعمل الطبيعة. ثم لم يزل يقرر هذا الأصل الخبيث حتى زعم أن الإيمان بالله وباليوم الآخر يمنع الرقى ويمنع كون العبد سيداً منتفعاً بأعماله وأنه غل ورباط يمنع من الخير والصلاح وأن الأديان السماوية أكبر المصائب على البشر. وقولٌ وصل إلى هذا الحد ليس بعده تقدم إلى الـكفر وإنما هو النهاية فى الـكفر والتعطيل والجحود لرب العالمين والخروج من الديانات السماوية كلها وهو غاية الخروج من العقل والحس، فإن قضية الإيمان بالله ورسوله هى أكبر القضايا وأعظمها وأوضحها وأجلاها براهين وأدلة وإثبات أنه هو الفعال لما يريد الخالق لـكل شىء الذى يدبر الأمور كلها ويكرم الطائعين ويعاقب العاصين فلا ينـكر ذلك إلا مكابر مباهت منحل من العقل الحقيق بعد انحلاله من الدين ، والمقصود أن صاحب الدين الصحيح هو أقوى الناس توكلا على الله تعالى وعملا بالأسباب النافعة لأنه يعلم أن دينه يحثه على ذلك وقد استصحب التوكل على الله والثقة به وأن الله لا بد أن يتم أمره وخصوصاً الأسباب الدينية والأسباب المعينة على الدين فانها من الدين فى الحقيقة لأن الدين هو جميع ما دل عليه الـكتاب والسنة مطابقة والتزاماً وتضمناً ، فهذا الدين لم يدع خيراً إلا دعا إليه ولا منفعة إلا حث عليها ولا طريقاً يوصل إلى إصلاح الأحوال الدينية والدنيوية النافعة إلا رغب فيه ، ولا مفسدة وشراً وضرراً إلا حذر منه ، وأمر بأخذ الوسائل الواقية والدافعة له، فياويح هـذا الـكاتب القصيمى الذى زعم هذا الزعم الباطل أنه مانع من التقدم والرقى ومجاراة الأمم الراقية فى الحياة . وهل رقت هذه الأمم

وسبقت غيرها فى الاختراعات والفنون الصناعية المدهشة إلا بعد ما أدخلت عليها تعليمات هذا الدين[١] واقتبسوا أصل هذه الصناعات من المسلمين بعد الحروب الصليبية وغيرها . ألم يكونوا فى غابر الزمان والقرون التى يسمونها القرون المظلمة فى غاية الجهل والوحشية والهمجية فى معرفة هذه الفنون والصناعات . ألم يكن المسلمون وقت قيامهم الحقيق بهذا الدين هم سادات الخلق الذين قهروا بفضل دينهم وأخلاقه وتعاليمه العالية جميع الأمم وحطموها وأفنوا صروح أكبر دول الأرض يومئذ. ألم تكن مدنية الدين الإسلامى هى المدنية الزاهرة الحقيقية حيث كان روحها الدين والعدل والرحمة والحكمة. وقد شملت بظلها الظليل وإحسانها المتدفق الموافق والمخالف والعدو والصديق . فهل أخرهم دينهم ومنعهم الرقى الحقيق ؟ ، وهل نفع الآخرين كفرهم بالله وبربوبيته وإلهيته فى تلك القرون الطويلة إذ كانوا هم الأذلين المخذولين فى مواقف الحياة كما زعم هذا الكاتب الذى يهرج على من لا يعرف الحقائق. ثم لما ترك المسلمون الاستمساك بتعاليم دينهم وتفرقوا شيعاً ، وارتقى الأجانب فى علوم المادة وفنون الصناعات والاختراعات ووصلوا إلى أمر لم يسبق له مثيل فهل أغنت عنهم هذه المدنية وهذا الرقى ، وهل وقتهم الشرور إذ كانت مدنيتهم مبنية على الظلم والجشع والطمع المفرط وطلب استعباد الخلق ولم يكن معها من روح الدين ورحمته شيء . فهل ردت عنهم هذه الملاحم والمجازر

(١) يريد الشيخ حرية الفكر وعدم التقليد، والخروج على سلطة الظلم الكنسية والزمنية وحرية البحث، إلى ما استفادوه من المسلمين أيام الحروب الصليبية وبعدها ، وكذلك فى أيام الأندلس الزاهرة .

قال فلامريون الفلكى الأمريكى : قد استولت الكنيسة ستة قرون فلم تنجب فلكياً واحداً، وقد أنجب الإسلام فى قرنين الكثير من علماء الفلك والطب والطبيعة والكيمياء. نقله الأستاذ الإمام فى رسالته : «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية.»

البشرية والاهلاك والتدمير الذى لم يسبق له نظير ولا مقارب فى تاريخ الخليقة. وهذا من أكبر البراهين على أن الرق فى هـذه الحياة إذا خلا عن الدين الحق صار ضرره أكبر من نفعه وشره أكثر من خيره إذا كان فيه خير كما زعمه هذا الـكاتب. فلو كانت هذه الأمم الراقية فى الفنون العصرية معهم من دين صحيح وبنوا حضارتهم على الرحمة والعدل والحق والتسوية بين الخلق وبين الأمم القوية والأمم الضعيفة فى الحقوق فما ظنك أن تصل بهم هذه الحضارة وماظنك بما ينكف بها من الشرور العظيمة التى جرت وهى جارية وستجرى ما داموا على حالهم .

أما تأخر المسلمين الآن فى الفنون العصرية والاختراعات والصناعات وأشباهها فليس هذا التأخر منسوباً إلى دينهم، فليس فى دين الإسلام أصل من الأصول أوفرع من الفروع يوجب على أهله التأخر بوجه من الوجوه، وإنمـا الأمر بالعكس كما تقدم التنبيه عليه بأن الدين الإسلامى قد جمع بين المصالح الدينية والدنيوية وحث على جميع المنافع وعلى الأعمال النافعة والعلوم النافعة عكس ما رماه به هذا الـكاتب من الجمود والتأخر ومنافاة الحضارة والتقدم وخدمة الحياة بزعمه، وإنما السبب الوحيد الذى أخرهم فى هذه الفنون هو ترك الاستمساك بروح الدين ومقوماته وترك الأخذ بما يحث عليه من الاجتماع والائتلاف واتفاق الـكلمة ، والتشاور فى الأمور كلهـا ، وترك الأغراض الشخصية للمصالح الـكلية، وبتركهم الجهاد القولى والبدنى والمالى وهو مقاومة الأعداء بكل وسيلة تناسب الزمان والمكان بحسب الاستطاعة. فالدين يحث على الأخذ التام بهذه الأمور التى لا قوام للأمم بدونها وهم كسلوا وغفلوا عنها علماً وعملا وأهملوا مصالحهم ومالوا إلى الترف والدعة والرضوخ والاستعباد للأجانب فلما رآهم الأجانب بهذه الحالة المؤلمة لعبت بهم سياساتهم وفككتهم وفرقتهم زيادة على ما اتصفوا به من التنافر والاختلاف ، وعلى مازهدوا فيه من الجهاد ومقاومة الأعداء، واستعبدوهم بكل حيلة وحللوا معنويتهم وروحهم الدينية وصاروا يضربون بعضهم ببعض ويقيمون لهم من جنسهم ومن بنى

قومهم ممن يتسمى بالإسلام من يقيم الدعايات الباطلة فى تزويدهم من هذه الحال الحرجة ومن يفت فى أعضادهم ويخذر أعصابهم ويسعى بكل مقدوره فى تأييسهم من التقدم وفى إماتة هممهم كما ترى هـذا الـكاتب الذى توسل باسم الدين والغيرة على المسلمين ، وسعى فى نبذ الدين ومحاربته بهـذه الطريقة التى أربت على طرق المنافقين . وزعم من بهرجته التى لا تروج على أحد أن المسلمين على اختلاف طبقاتهم من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة وأصناف المحدثين والمفسرين والفقهاء والأصوليين وسائر طبقات الأمة كلهم زعم أنهم لم يفهموا الدين وأنه مستحيل أن يسعوا فى مصالحهم ، وغير ممكن لهم ذلك إلا بنبذه وأنه قيود تمنع التقدم كما صرح بذلك فى صفحات (١٧) و (٣٦) و (٦٨) و (٦٧) و (٧٧) و (٩٧) و (١٤٠) و (٣١٥) من كتابه ، وهذه دسيسة خبيثة، فإن كل أحد عنده أدنى تمييز يعلم حق العلم أن هـذه المباحث التى اشتمل عليها كتابه منافية للدين بالـكلية ومناقضة له من كل وجه ولـكنه جاء بهذه الوسيلة ليقول المفترون ليس دين الإسلام ما فهمه المسلمون والأئمة والعلماء على اختلاف طبقاتهم وإنما هو شيء آخر مجهول عندهم، وقد علمه هذا الـكاتب وهو ما أراده وسعى إليه من معانقة دين الملحدين ورفض دين المسلمين وسائر المرسلين .

ثم ان هذا الـكاتب لم يكفه أن يقدح فى هؤلاء المتأخرين من المسلمين بل وصلت به الحال إلى أن قدح فى خير القرون وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة الدين والهدى حيث زعم أنهم لم يفهموا من دينهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا وأن معارفهم وعلومهم النافعـة كلها بالنسبة إلى معارف المستأخرين من الملحدين كنسبة معارف الأطفال إلى العقلاء الراشدين أو أقل من ذلك ، وحث غاية الحث على رفض مقالاة هـذه القرون المفضلة ، وأنه يجب تعليم الناس الـكفر بهؤلاء الأئمة وبمعارفهم وفضائلهم وما قالوه وعملوه أو ورثوه ، وتهـكم بمن يدعو إلى الأخذ بما أخذ به الأولون وملأ كتابه من هذه المواضيع الخبيثة والوقاحة والجراءة التى لم يرتكبها

غيره كما صرح به فى صفحات (١٤) و (١٦) و (٢٩) و (٦١) و (٦٤) و (٦٦) و (٦٧) و (٦٩) و (٧٠) و (٨٥) و (١٢٠) و (١٤٠) و (١٧٠) و (٢٩٣) و (٢٩٦) و (٢٩٨) و (٣٠٢) و (٣٠٣) و (٣٠٨) و (٣١١) و (٣١٥) فياويحه ما أخسر صفقته وأقل حياءه وهل يشك أحد أو يرتاب مسلم أو منصف ولو كان من غير المسلمين أنه لم يوجد ولن يوجد أحد أكمل علماً وفضلا وأخلاقاً وعدلا ورشداً وعقلا وكمالا فى كل الخصال العالية من الصحابة والتابعين لهم باحسان، وأنه ماوصل لأحد غيرهم خير وفضل وعلم إلا على أيديهم. وقد كذّب فى كتابه هذا ما كتبه عنهم فى كتبه السابقة ، وقد شهدت الأمم الأجنبية بكمال فضلهم وشمول رحمتهم وعدلهم . قال جوستاف لوبون فيلسوف فرنسا الشهير : ماعرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب . وكانوا إذا فتحوا البلدان وجرت عليها أحكامهم العادلة وشفقتهم على بنى الإنسان امتلأت قلوب الأجانب من محبتهم وتمنوا دوام ملكهم وسلطانهم واختاروهم على قومهم وأهل دينهم مع أن النفوس مجبولة على التعصب لما ألفت من الأديان والأوطان والأنساب والمذاهب. فلولا أنهم رأوا من رحمتهم وعدلهم ما لم يشاهدوا له نظيراً لم يخضعوا كل هذا الخضوع ويعطوا ما بأيديهم مذعنين راغبين غير مقهورين على إرادتهم، فانهم يجدون الفرص الكثيرة لحدوث الثورات ، ولكن الرحمة والعدل من المسلمين أوجبا لهم السكون والطمأنينة لظل هذا الدين القويم. وهذا الكاتب يعلم حق العلم أنه كذب نفسه بنفسه وأنه ناقض فى كتابه هذا ما كتبه فى كتبه السابقة ، ولهذا جعل يندب نفسه ويندم ويتحسر وينوح على زمانه الماضى وكيف قضاه فى عبادة الله ومتعلقاتها لأنه لا يجهل أن الناس يعرفون منه هذه الحالة ، ولهذا كان الكلام معه فى هذا الكتاب لا يشبه الكلام مع المبتدعين من المسلمين الذين يعظمون الدين ويؤمنون بالله ورسله ، وإنما يتكلم معه كما يتكلم مع الأجانب عن الدين والكافرين به ويناظر كما يناظرون لأنه فى كتابه هذا كشف الغطاء وصرح بالعظائم الكبرى المنافية لدين الإسلام بالكلية.

ثم إن هذا الكاتب يزعم أن تلك القرون المفضلة التى لم يشاهد الناس لها مثيلا فى الجلال والجمال والكمال لم تبلغ رشدها بل هم فى طور الطفولة ، وعنده أن الرشد والكمال المفضل منحصر فى الماديين من الملحدين كما صرح به فى تلك الصحائف آنفة الذكر. والسبب الذى أداه إلى هذه المقالات الجائرة المنحرفة أن الفضل منحصر عنده فى شىء واحد وهو عبادة الطبيعة ووجوب إعطائها القلب والقالب والظاهر والباطن ، والانصراف بالكلية إلى هذه الحياة فقط والتمتع بزهرتها والانحلال عن القيود الدينية وإباحة جميع ما تشتهيه النفوس وإطلاق العنان لها . كما أطال فى هذا الموضوع وردد فيه الكلام الساقط ثم فى مقابلة ذلك التحامل على كل ما يعارض هذا الطريق والتمسك بالدين وحملته، فإذا كان هذا هو الكمال عند هذا المنحرف لم يستغرب بعد هذا قدحه فى خير العالمين وسخريته من علومهم وأخلاقهم وأعمالهم وما هم عليه فى جميع الأحوال فصار منطبقا عليه وعلى أمثاله غاية الانطباق قوله تعالى : (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) ولهذا ارتكب العظائم فى تحليله لحياة النبى صلى الله عليه وسلم وشخصيته الكريمة بكلام طويل مزدد كقوله كان يعبد الطبيعة وأنها قد أخذت بقلبه وقالبه ولبه وأنه كان يناجى الليل والنهار والضياء والظلمة والنسيم ونحوها مما يشاهد ، وأنه افتتح رسالته بمناجاة الطبيعة والخلوة بها فى غار حراء ، وختم رسالته وحياته بشدة النزوع إليها وقت السياق حيث كان يقول فى الرفيق الأعلى. وهذا بعينه قد أخذه من دعاة النصارى المفترين الذين لما بهرهم ماجاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين الحق والتعاليم العالية والرقى الكامل والفتوح الباهرة والآثار التى لم يحصل عشر معشارها لأحد من الخلق طفقوا يموهون على الناس ويحللون حياته (ص) تحليل أحد رجال الطبيعة يعنى الذين لا يؤمنون بالله وملائكته وعالم الغيب من الأرواح والجن بله الدار الآخرة وما وراء المحسوسات والملموسات فأخذ عنهم هذا المأخذ الخبيث وأنكر الوحى والرسالة بهذا التحليل. ورمى

النبي صلى الله عليه وسلم بأنه طبيعي لايعرف الله ولايعرف الوحي فلم ينزل عليه جبريل من عند الله ولا كان يناجي الله ولايعبده ، ولا كان عند السياق إلا مشتاقاً إلى الطبيعة فقط لأنه لا يعرف الله ولا يريده ولا يحبه ولا يطلبه عند هذا الكاتب الذي تجرأ على ما لم يتجرأ عليه من يتسمى بالإسلام من الملحدين. ولا تستغرب هذا عليه فإنه سيأتي أنه صرح تصريحاً لاتردد فيه بالكفر بالأنبياء والرسل كلهم ، وصرح أنهم لم ينفعوا الخلق بوجه من الوجوه، فإن كانت هذه وقاحته وتصريحاته فلا يستبعد عليه شيء. وظهر بهذا غرضه الوحيد وهو الدعاية البليغة إلى نبذ الدين وأصوله ومحاربته بكل طريق . ومن فضل الله أن طريقته في كتابه قد عرفها الناس وعرفوا ماترمي إليه من الغايات وعرفوا الأيدي المحركة لها، ويأخذهم العجب الكبير كيف صار هذا الرجل بعد سوابقه فريسة لأعداء الدين وآلة لهم صماء في طريق مآربهم ومقاصدهم فنسأل الله أن يهدينا وإخواننا المسلمين وأن لا يزيغ قلوبنا بعد الهداية . والمقصود أن هذا الكاتب جعل الفضل كله في جانب الأجانب الكفار ، ولم يدر ـ أو درى وتجاهل وهو الأحرى بمثل هذا الرجل ـ أن الفضل الحقيق هو السعي في طرق الكمال والتخلق بكل خلق جميل والتنزه عن كل خلق رذيل وهو الفضل الذي يرقي القلوب والأرواح ويوصل أهله إلى أعلى الغايات وأشرف السعادات الذي أصله وأساسه العقائد القلبية المؤسسة على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره والأعمال القلبية التي مدارها على الإنابة إلى الله ، وانجذاب دواعي القلب كلها إلى الله رغبة ورهبة ومحبة وخوفاً ورجاء وقصداً وطلباً وتعبداً وتألهاً وإخلاصاً صادقاً لله وحده لا شريك له. ثم القيام بالشرائع الظاهرة من إقام الصلاة وإيتاء الزكا وصوم رمضان وحج البيت الحرام والجهاد في سبيل الله ، وما يتبع ذلك من القيام بحقوق الوالدين والأقارب والجيران والاصحاب والمعاملين وتوفية الحقوق كلها بالعدل والإنصاف وعدم الظلم والجور على القريب والبعيد والعدو والصديق، وبذل الجهد بالقيام بكل مايعين المسلمين على أمر دينهم والاستعداد الكامل

لمقاومة الأعداء والسعى فى جمع كلمة المسلمين ومحبة الخير لهم وتحصيله بكل مقدور، فإذا كان هذا هو الفضل الحقيق وهو كذلك، فقد علم كل من له أدنى تمييز أن للصحابة والتابعين لهم بإحسان من هذا أوفر الحظ والنصيب وأن الصحابة رضى الله عنهم فوق جميع طبقات الأمة فى كل فضل وعلم وعمل، كما أن الأمة أكمل الأمم فى كل فضل وخير وأكمل الأمم المنتسبة إلى الأديان فكيف بالأمم المنحلة المعطلين لرب العالمين الذين انحلوا من عبادة الرحمن فعبدوا الطبيعة فتباً لمن آثرها بظاهره وباطنه على الله بئس للظالمين بدلا. وزعم هذا الكاتب أن التقيد بالإيمان بالله وبما أخبر الله به على ألسنة رسله قيد وغل يحول بين الإنسان وبين المطالب العالية النافعة ويقيده عن عبادة الطبيعة التى هى الغاية عند أمثال هؤلاء، فيحق لمن كان هذا منتهى مراده وطلبه أن يكون أول من يدخل فى قوله تعالى: « إن الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون » وفى قوله تعالى: « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها » إلى آخر الآيات، ثم إن هؤلاء المنحرفين الملحدين الذين انخدع هذا الكاتب بدعايتهم الخبيثة يدعون إلى نبذ كل قديم واعتناق كل جديد، وقد أبدى هذا الكاتب فى هذا وأعاد وكرر ذلك مريداً بهدم القديم هدم أصول الدين وقواعده كما تجده فى صفحات (١٦) و (٣٧) و (٦٤) و (٦٩) و (٧٠) و (٩٦) و (١٦٠) و (٣٠٢) و (٣١١) من كتابه وغيرها من الصفحات. وهذه الدعاية الخبيثة مقصودها الأعظم وأساسها الذى بنيت عليه رفض الشرائع والأديان والانحلال من قيود الدين وحله وتحريمه وجميع أحكامه والانخراط فى سلك المعطلين لرب العالمين المنحلين من جميع شرائع الدين وأول مايدخلون فى هذا الأصل الباطل رفض ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من أصول وأخلاق وأعمال وغيرها وتوصلوا بهذا إلى الطعن فى خير القرون وإهدار أقوالهم وعقائدهم وعلومهم، بل وجميع محاسنهم والحمل على حملة الشريعة

وأئمة الهدى ومصابيح الدجى كما أشرنا إلى الصفحات الموجود فيها ذلك .

ثم إن هـــذا الكاتب يهرج على من لم يعرف الحقائق بالاستدلال بأحوال المنحرفين من الصوفية والخرافيين ومن تسمى بالدين وهو منه برىء ، وأورد من خرافاتهم وخزعبلاتهم ما يظن أنه يروج به باطله حيث نسبه إلى حملة الدين وهو يعلم حق العلم أن الدين وحملته الذين هم أهله هم أبعد الناس عن هـذه الخرافات وأعظم المنكرين لها ، وأنهم يبرءون منها وينزهون الدين الإسلامى عنها ، فكيف لا يستحى أن يستدل بأحوال ابن عربى وخرافات الشعرانى وشطحات المتصوفة على الدين وأهله متوصلا بذلك إلى القدح فى الدين وحملة الدين ، وهو يعلم حق العلم أن الإسلام برىء من هذه الأمور والشطحات والخرافات ، فكيف لا يستحى من هذه البهرجة والتناقض، أيظن الناس كالبهائم العجم التى لاتفهم شيئاً، أم سحر عقله فصار يهذى بالباطل بما انطوى به صدره من الغل والإلحاد ، ألم يعلم أن الدين وأهله الذين هم أهله الذين عرفوا الحقائق وميزوا بين الحق والباطل والمحقين والمبطلين ينفون عنه انتساب كل مبطل كما ينفون عن ساحته كل باطل ، وأن المبطل لا يروج أمره عليهم بمجرد انتسابه إلى الدين ، فكم انتسب إلى الدين من الزنادقة والمشركين والمنافقين من هو شر من اليهود والنصارى ، فمن احتج بأحوال من انتسب إلى الدين وأهله فهو من المزورين المهرجين وكذلك من احتج بالآثار والحكايات الباطلة على الدين فهو مفتر كذاب كما فعل هذا الكاتب وملأ كتابه من الخرافات والحكايات الكاذبة ونسبها لأهل الدين ليتوصل بذلك إلى القدح فيه وفى أهله ، والدين كما يعلم كل من له بصيرة أنه نقى خالص حق فى أصوله وفى فروعه وفى أخلاقه وآدابه وتعاليمه جميعها فى غاية العلو والسمو والمكانة العالية التى لو اجتمع جميع العقلاء أن يقترحوا أحسن منها أو ما يقاربها لعجزت عقولهم وقدرتهم عن ذلك لأنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه

([illegible])

ولا من خلفه ويعرف هذا بتتبع أصوله وفروعه (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) أى يهدى لأصلح الأمور من العقائد والأخلاق والآداب والأعمال للأسباب وغيرها فليأت هذا الكاتب أو غيره بمثله إن كانوا صادقين ، فإن الدين الإسلامى قد فصل الحقائق ، وبين المناهج الصحيحة والطرائق ، وميز بين الحق والباطل ، وبين أولياء الرحمن من أولياء الشيطان ، وبين الخير والشر ، وبين العلوم النافعة التى تنفع الخلق فى دينهم ودنياهم من العلوم الضارة التى هى بضد ذلك ، وهذا الرجل يدعى أن العلوم كلها نافعة وليس فيها شىء ضار بوجه من الوجوه ، والله يقول : (ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم) فالدين هو الميزان الذى توزن به الأقوال والأفعال ، ويعرف به الطيب من الخبيث والنافع من الضار ، فمن رفض من هؤلاء الملاحدة القديم ، وعنى به هذا الدين الحق فإنه فى حقيقة الأمر قد رفض جميع الحقائق الثابتة ورفض العلوم والأعمال النافعة . فمن أين لهذا النشء الحديث علوم نافعة وأعمال نافعة إلا من معين هذاالدين. من أين لهم أن يعرفوا رب العالمين بأسمائه وصفاته الذى هو أجل المعارف وأكبرها وأصلها ، ومن أين لهم أن يوجدوه ويؤمنوا به وبما جاءت به الرسل إلا من هذا الدين ، ومن أين لهم أن يقوموا بحقوقه وحقوق خلقه العادلة الفاضلة ، ومن أين تأتيهم إلا من هذا الدين ، ومن أين لهم أن يهتدوا للأخلاق الجميلة ويتنزهوا عن الأخلاق الرذيلة إلا من هذا الدين . ومن أين لهم أن يعرفوا الصراط المستقيم المحتوى على الحق علماً وعملاً إلا من هذا الدين القويم ، ومن أين لهم معرفة الشرائع والأحكام والحلال والحرام والعقود والعهود والشروط والحدود والمواريث وتوابعها إلا من هذا الدين، ومن أين لهم الطريق الذى أدركوا به تعلم الصناعات وأنواع الفنون والمخترعات النافعة إلا بعد أن نشر هذا الدين ظله على الخلق فأشرقت على الارض أنواره فاقتبس من هذا النور كل أهل علم نافع فى الدين والدنيا كل أحد بحسب مشربه ، فإن هذا الدين هو الذى أسس أصول الصناعات وقواعدها النافعة ، وأمر بها حيث يكون

فيهامصلحةللدين ومنافع للناس كافة كاتقدمت الآية الكريمة : (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة) الآية ، وقوله : (وخذوا حذركم) ، وقوله : (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) وامتن على الإنسان بأن علمه مالم يعلم من جميع العلوم والفنون النافعة ، فهذه علوم الشريعة على وجه التنبيه والاختصار كما ترى هل بقى علم نافع إلا دخل فيها وهل بقيت معارف يحتاج الخلق إليها فى أمور دينهم ودنياهم إلا احتوى عليها وهل بقيت وسيلة وسبب وطريق من الطرق النافعة إلا واشتمل عليها . فإذا رفض هؤلاء الملحدون القديم وعنوا به دين الإسلام فقد رفضوا جميع الامور النافعة فأصبحوا على غير أساس يؤسسون عليه علومهم وأعمالهم ، فهؤلاء الذين يذمون القديم ـ ومؤلف كتاب الاغلال حامل رايتهم ـ مرادهم بذلك التوسل إلى رفض الدين الإسلامى بل صرحوا بمرادهم، ومع ذلك فهم كذبة يتناقضون فى هذا الإطلاق فإنهم يذهبون إلى تقليد أرسطو وأفلاطون والفارابى وابن سينا ونحوهم من ملاحدة الاولين والآخرين فهؤلاء وإن كان لهم مهارة فى علوم المادة المحضة فإن كلامهم فى الدين وأصوله أضعف بكثير من كلام أدنى طلبة العلم الدينى كما هو معروف من أحوالهم ، ومن أراد الوقوف على جهل هؤلاء الذين عظمهم هذا الكاتب فلينظر إلى المطولات من أقوالهم وأقوال أئمة الإسلام ولينظر إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية خصوصاً العقل والنقل الذى وضح به بالبراهين العقلية فضلا عن النقلية جهلهم البليغ ومعارفهم الضئيلة فى أصول الدين وضلالهم العظيم فيها وإنما الذى رفع شأنهم عند أتباعهم معرفتهم فى علوم الطبيعة الذى يشترك فيه البر والفاجر ، فهؤلاء وأمثالهم يقدمهم هذا الكاتب على ماجاءت به الرسل ويقدمهم بلاخوف ولا خجل على ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم وما ذهب اليه الصحابة والتابعون وأئمة الدين والهدى فحسبك بقول هذا منتهاه وهذا حاصله بطلاناً وفساداً وجهلا وضلالا ، بل مكابرة وعناداً . وهذا الكاتب سلك فى نصر هذا المذهب الخبيث مسالك الإلحاد أي

الاجانب عن الدين يريد أعداءه ورافضيه الذى ليس الغرض منه إلا اضلال الخلق وهو كما ترى مناف للعقل والدين ، أما الدين فلا يمترى فيه أحد كما نبهنا عليه ، وأما العقل فان العقل والدين متآزران لا يرد الدين بما ينافى العقل الصحيح ولا يمكن أن يرد شىء معقول مقطوع به يخالف الدين بوجه من الوجوه وقد أخبرناك بأن الدين قد نبه على الأصول النافعة كلها، وان نهاية ما فعله المتأخرون هو ترقية الصناعات وتفريع المخترعات والمهارة العظيمة فى أمور الطبيعة التى كانت أصولها يتناقلها الخلف عن السلف. ثم إن هذا الكاذب موه على الناس وزعم أن الذى أوصل هؤلاء المتفننين فى العلوم العصرية والاختراعات نبذهم للدين وكل أحد يعلم أن نبذهم الدين لم يوصلهم إلى مصلحة دنيوية فضلا عن المصالح الدينية وإنما الذين أوصلهم إلى الترقى فى هـــذه الفنون جدهم البليغ واجتهادهم ومواصلتهم الليل مع النهار فى تعلمها وإدراكها وتفريعها وترقيتها ، وقد تقدم لك أن الدين الإسلامى يحث على تعلم كل نافع منها ويأمر بكل علم يعين الامة على مقاومة الامم ويوصلها إلى مصالحها فمن استدل بتفوق الاجانب فى علوم المادة على صلاح دينهم وفساد دين غيرهم فهو من أجهل الخلق وأبعدهم عن المعارف بالكلية أو مغرر مموه يقصد الترويج على من لم يعرف الحقائق كما هو دأب هذا الكاتب الذى يسعى فيـــه.

ومن تمويهاته الشنيعة التى يريد بها محاربة الدين وأهله أن يزعم أن المسلمين يحثون على الفقر والبأساء والضراء وأنواع المصائب ويطلبونها ويسعون فى تحصيلها بكل طريق ، ويسخر منهم ومن ذكر الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على فضيلة الصبر على الفقر والأمراض وأنواع المصائب كما صرح بذلك فى صفحات (١٢٦) و (١٤٠) و (٣١٩) وكذلك جميع النصوص الدالة على ذلك من الكتاب والسنة وهذا من باب قلب الحقائق فإن ذلك من أعظم محاسن الدين الإسلامى حيث أرشد أهله إلى التربيــة العالية التى هى أنفع التربيات وأجلها وأكثرها آثاراً حميــدة فقد تكاثرت نصوص الكتاب والسنة فى فضل الصبر على المصائب والأمراض وأنواع المحن التى لابد للخلق كلهم

منها فى هذه الدار وذكر فضائل الصابرين وما لهم من عنـد الله من الثواب وذلك ليوطنوا أنفسهم على تقلبات هذه الحياة الدنيا من غنى إلى فقر ، ومن يسر إلى عسر ، ومن بأساء وضراء إلى خير وسراء ، ومن عافية إلى مرض ويعلمهم كيف يتلقون هذه الأمور الملازمة للبشر فى أطوار حياتهم فهى من ضرورات الحياة والوجود ، وأمرهم أن يتلقوا النعم والخيرات بالشكر والاعتراف بنعمة المنعم وصرفها فى الأمور النافعة فى أمر الدين والدنيا وعدم الطغيان والبطر فيها ، وأن يتلقوا المكاره والمصائب بالصبر والاحتساب والرضى بما منّ المولى والرجاء لثوابها العاجل والآجل ، فهم يتقلبون فى أحوالهم كلها مسرورين مغتبطين إن أصابتهم سراء شكروا وقاموا بحق المنعم وصرفوها فيما يعود عليهم بالنفع عاجلاً وآجلاً وإن أصابتهم الضراء صبروا وتضرعوا فهم أقوى الخلق وأجلدهم عند المصيبات والمكاره التى لايسلم منها بر ولا فاجر بل كثير منهم يتلقونها بالرضى والطمأنينة والشجاعة التامة وعدم الكراهة حيث تخور عزائم المنحرفين عن الدين عنـد المصائب ويجرى لهم من التسخطات والجزع والهلع والآلام القلبية والزلازل الروحية والفظائع والفجائع التى قد توصلهم إلى الانتحار الذى يبرهن على ضعف النفوس وخورها وأنه بلغ معها المكروه مبلغاً لا تصبر معه على الحياة ، فقارن بين هذه الحال الفظيعة وحالة المسلمين القائمين بوظائف دينهم تجد الفرق العظيم بين النفوس والهمم القوية من المهينة ، ويشهد بذلك قوله تعالى : « إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين » . وقوله تعالى « ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور ولئن أذقناه نعماء بعـد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى انه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير » وتعرف بذلك أن النصوص التى فيهـا فضائل الفقر والفقراء والأمراض والمصائب المتنوعة والحث على الصبر والمرض وبيان ما فى ذلك من الثواب لقصد حث النفوس على مقابلتها خير مقابلة، وان ذلك من محاسن دين الإسلام

حيث يموه هذا الكاتب أن نقل أهل العلم وهداة الأمة هذه النصوص تدل على سوء حال المسلمين وأنهم بذلك يسعون ويطلبون هذه الأمور بجدهم وهذا من التمويه الذي لم يصل إليه أحد من الأجانب ، فأين دعواه أنه ينصر الدين وهو من أكبر المحاربين له ولقد علم كل أحد أن هذه النصوص قصد بها تربية المسلمين على مجابهة هذه الحياة بصدور منشرحة ونفوس مطمئنة ، وكل عارف بدين الإسلام يعرف أنه يأمر بالأخذ بجميع أسباب الصحة من تدبير الأغذية والنوم والنظافة الإيمانية والحركة الرياضية ونظافة الأبدان والثياب والفرش والمساكن وغيرها حيث يدعى هذا الكاتب عكس ذلك فليأتنا بمثال واحد ونص واحد من الدين يدل على ما قاله من رميه الدين وأهله بالدنس والوسخ والأخلاق والآداب المزرية فيا ويحه ما أعظم جرأته ، وكذلك هذا الدين يحث على التداوى إذا وقعت الآلام ويخبرهم الشارع أنه ما من داء إلا وله شفاء ودواء علمه من علمه وجهله من جهله لئلا يخلدوا إلى الكسل عن مداواة بعض الآلام ويظنون أنه لا دواء لها فإنهم إذا علموا أن لها دواء جدُّوا فى تعلمه وطلبه ، وكذلك المسلمون يسعون فى دفع مضرات الفقر والأمراض والبلايا ويسألون الله العافية منها فهم يدافعون أقدار الله المكروهة شرعاً وطبعاً بأقداره المأمور بها شرعاً وطبعاً وليسوا كما رماهم به هذا الكاتب أنهم يسعون لتحصيلها فهم أصبر الخلق على المصيبات وأعظمهم سعياً فى جميع الأسباب النافعات وليسوا كمن صرف جميع همته فى السلامة من الأمراض البدنيـة والفقر ولا يبالى بدفع الأمراض الروحية التى هى أشد فتكاً وأعظم هلاكاً وأدوم شقاء وهى أمراض القلوب ، ولا فى دفع الفقر الحقيق وهو الإفلاس من الباقيات الصالحات كما يدعوا إليه هذا الرجل ويحث عليه فى كتابه ويحض على صرف الهمة كلها للوسائل ويزهد ويثبط عن المقاصد النافعة التى لا تنفع الوسائل بدونها ، فهل ينفع إصلاح الأبدان فقط مع فساد القلوب ؟ وهل يفيد إصلاح الدنيا فقط مع تخريب الآخرة ؟ فالآخرة والعمل لها ليس عند هذا الكاتب لها ذكر ولا خبر

وإذا انهار الأصل تداعت الأركان والفروع . فالمؤمنون بالمعنى الحقيقي يقومون بعبودية الله التي خلقوا لأجلها ويستعينون بما في هذه الدنيا على هذا المطلوب الأعظم فهم أطيب الخلق نفوساً وأهناهم قلوباً وأشكرهم لله عند النعم والمحبوبات وأصبرهم عند البلايا والمكروهات ، فدين الإسلام من محاسنه أنه يدعو إلى هذه الحياة الطيبة ويجمع بين الوسائل النافعة والمقاصد المطلوبة حيث تدعو الآراء المنحرفة التي يدعو إليها هذا الكاتب إلى اللذات الحاضرة الجزئية والشهوات والأغراض السفلية، ومن تأمل كتاب هذا المنحرف رأى أنه يبدي ويعيد في صرف القلوب بالكلية إلى الشهوات واللذات وإطلاق السراح للنفوس وأنه لاينبغي أن تتقيد بشيء يصدها عن تحصيل مآربها السفلية ثم في مقابلة ذلك يهون الجزاء الأخروي وقد يستهزئ به ويجيء بأساليب استهزاء وسخرية محزنة كما ذكره في صفحات (١٧) و (٣٥) و (٣٧) و (٦٦) و (٧٨) و (٨٥) و (١٢٦) و (١٧٨) و (٣١٩) و (٣٢٥) فيا ويحه ماذا أبقى على دينه بل ماذا أبقى على عقله فان الاستهزاء والسخرية بوعد الله ووعيده كما أنه يخرج من الدين فإنه يخرج من طور العقل ، فهل في القضايا والحقائق أعظم وأكبر من وعد الله ووعيده ، وهل في جميع المسائل الكلية والجزئية أجلى برهاناً وأوضح أدلة من أدلة هذا الأصل العظيم الذي اجتمع على تحقيقه وتصديقه جميع الأنبياء والرسل والأدلة السمعية والعقلية بل والأدلة الحسية المشاهدة فمن أنكر ذلك واستهزأ به فقد نادى على عقله بالسفه والخروج عن طور العقلاء بعد ما خرج من الدين فكل من استهزأ بالإيمان وبوعد الله ووعيده فانه داخل في قوله تعالى : « قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم » ومن بحوث هذا الكاتب الخبيثة أنه أنحى على خيار الخلق وحمل عليهم في قيامهم بخالص العبودية وروح الدين والإسلام وهو الافتقار التام إلى الله وتفويض العبد أموره كلها إلى الله ونقل كلام ابن القيم في حقيقة الفقر ذلك الكلام النفيس القيم في تحقيق العبد افتقاره الى

ربه وتعلق قلبه التام بربه الذى جاءت به الكتب ودعت اليه الرسل وتنافس فى نيله أرباب الصدق والإخلاص وأولوا الألباب فساقه مع غيره نافياً له متهكماً ساخراً بعباد الله المخلصين هازئاً بالأخيار المفتقرين الى الله خالقهم الغنى الحميد وهو فى الحقيقة المسخور منه المبتلى ببلوى يسألون الله منها العافية وهذه السخرية فى الحقيقة والتكذيب موجه الى روح الدين فإن روح الدين هو التواضع والذل التام لرب العالمين ورؤية العبد افتقاره الحقيق إلى ربه واضطراره إليه فى جلب مصالحه ودفع مضاره وأنه لايملك لنفسه نفعاً ولا ضراً بوجه من الوجوه وأن من تمام عبوديته إلى ربه أن يلجأ إليه ويضرع إليه فى جميع شئونه ويعلم أنه فى غاية العجز والضعف عن القيام التام بفعل الأوامر واجتناب النواهى وعن القيام بجميع الوسائل النافعة وانه وإن لم يُعنه ربه لم يتم له أمر فالمسلمون يعلمون أن افتقارهم إلى ربهم لاينافى قيامهم بالأسباب النافعة كما أن القيام بالأسباب لاينافى الافتقار إلى الله تعالى بل كل واحد من الأمرين يمد الآخر فكلما ازداد العبد افتقاراً إلى ربه والتجاء إليه جاءه من معونة ربه وتيسير أموره ما لا يحصل له بدون ذلك وكلما قام بالأسباب مستعيناً بالله أمده بإعانته وتوفيقه ، فهذا الكاتب ظن أو جعل افتقار المسلمين إلى ربهم يوجب الضعف والكسل وموت الهمم وصوّره بهذه الصورة الشنيعة ثم طفق يحط على خيار المؤمنين ويرميهم بضعف الرأى والهمة والعقل ولم يعلم المسكين أنه ينادى على نفسه بسفاهة العقل وقلة الإدراك إذ كان هذا ظنه وإن كان الأمر غير ذلك فهو يبرهن على خداعه وبهرجته وتصويره حالة المسلمين بحالة شنعاء ليتوسل إلى القدح فيهم وفى دينهم عند من لايعرف الحقائق ويح هذا الرجل إذا أنكر روح الدين ومقوماته وأصوله العظيمة التى لا تستقيم جميع الأمور إلا بها فماذا يعترف به وإذا ذم الافتقار إلى الله والرجاء له فى كل الأحوال والاعتراف بأنه هو الميسر للأمور المسهل للصعاب الذى ما بالعباد من نعمة وخير وتوفيق فليس إلا منه ولا يأتى بالحسنات إلا هو ولايدفع السيئات إلا هو ، وهو الذى يجيب دعوات المضطرين ويرحم

ضعف المفتقرين ويجبر قلوب المنكسرين لجلاله الطامعين كل الطمع فى فضله ونواله إذا ذم هذا فأى شيء يحمد ويمدح أيحمد النفس الضعيفة المهينة العاجزة عن مصالحها إلا بإعانة ربها أو يثنى على الطبيعة ويأمر بالافتقار إليها وصرف الهمم والقلوب إليها وهذا ما يدعو إليـه فيا ويحه ما أخسر صفقته وياليت شعرى ماذا يقول فى أكمل الخلق فى جميع الصفات الـكاملة وسيد المتوكلين وقدوة المفوضين وأعظم الخلق افتقاراً الى ربه بكل معنى واعتبار حين يقول صلى الله عليه وسلم : اللهم رحمتك أرجو فلا تـكلنى الى نفسى طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك واصلح لى شأنى كله ، اللهم إن تـكلنى إلى نفسى تكلنى إلى ضعف وعورة وعجز وخطيئة وإنى لا أثق إلا برحمتك فارحمنى رحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك . لابد أن يقول أن هذه حالة ذميمة صاحبها مهين ضعيف النفس كسلان كما صرح به حيث وجه الذم الى السالمين المفتقرين الى ربهم وحسبك بقول فساداً وبطلاناً وشناعة أن يبلغ هذا المبلغ . ولقد تمم كلامه فى الافتقار الى الله كلامه فى التوكل حيث فسر التوكل بتفسير طويل مردد يرجع حاصله الى أن معناه العلم بنظام التكوين وأنه لايتغير ولا يمانعه ممانع ولا يغير الله أسبابه بإيجاد أو تقوية أو زيادة أو نقص فأبطل التوكل من أصله ونفاه من أسه، والتوكل هو من أعظم أصول الدين وأعمال القلوب التى لاتتم شروطها الا بالإيمان التام بالله تعالى والإيمان بقضائه وقدره وانه تعالى هو المتصرف ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأن الأمور كلها بيده وتحت تدبيره وأن نواصى العباد بيده تعالى وأن أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وجميع شئونهم الجليلة والحقيرة منتظمة فى قضائه وقدره وأن أفعالهم من طاعات ومعاص داخلة فى مشيئته وقدره وان الله جعل لهم الاختيار فيها ولم يجبرهم عليها فإذا علم العبد ذلك حق العـلم اعتمد على ربه اعتماداً حقيقياً فى جلب مصالحه وفى دفع مضاره الدينية والدنيوية ووثق بتحقيق مطلوبه وان الله كاف من توكل عليـه فهذا التوكل الذى جاءت به الرسل ونزلت به الـكتب واتفق عليـه جميع أهل الملل والأديان الصحيحة

وهذا قد أبطل ذلك كله لأن من كان أطلقه نبذ الإيمان والحث على نفيه وزعمه أنه لا تقوم الأسباب الا برفض الإيمان ومن كان مذهبه أن التدبيرات فى العالم العلوى والسفلى كلها من تدبيرات الطبيعة ونظامها وتفاعلها وتطورها ومن كان مذهبه فى الوحى ذلك التفسير الذى نبهنا عليه ، ومن كان رأيه فى الجزاء الدنيوى والأخروى ما أشرنا اليه ، ومن كان يدعو الى رفض القديم الذى هو كتاب الله وسنة نبيه ومن كان يأمر الناس بثقافة جديدة إلحادية ينبذ فيها تعاليم الدين وأخلاقه كلها ، ومن صرّح بالكفر بجميع الأنبياء تصريحاً لا يمترى فيه كما سيأتى ان شاء الله نص كلامه ومن كانت هذه الأصول الخبيثة وغيرها أصوله التى يبنى عليها فلا تستغرب عليه إنكاره للتوكل على الله وتكذيبه جميع نصوص الكتاب والسنة فى معناه .

وكذلك من مباحث هذا الكتاب الضارة التى بلغت فى الفظاعة ووصلت فى الخلاعة مبلغاً ما وصل إليه ولا تجرأ عليه أحد له أدنى عقل وبصيرة من الأولين والآخرين ما يبديه ويعيده ويكرره أن الإنسانية لا تزال فى تطورها وترقيها حتى تصل إلى الاتصاف بصفات الرب العظيم إن كان يثبته بلفظه فالإنسان بزعمه يمكنه أن يكون بكل شىء عليما وعلى كل شىء قديراً وأنه قد علم ما كان فى أول الموجودات وما يكون من آخرها وأنه علم مبدأ هذه الخليقة وخلف علوم الرسل خلف ظهره وهو يحاول علم ما سيكون فى هذا العالم بل علم مقدار ما بقى من عمر هذا العالم وقد علم حالة العالم السفلى وهو يحاول وسيدرك علم العالم العلوى وصنع الصور والأجسام وهو يحاول أن ينفخ فيها الروح فهو لا يستبعد إيجاده للحيوان الصناعى والإنسان الصناعى غير مبال بتكذيبه لله ورسله فقد زعم أنه قد يتمكن أن يوجد الحيوانات، وزعم أن التفريق بين الخالق والمخلوق أكبر الأغلاط وأنه يجب أن لا يفرق بين الرب العظيم وبين الإنسان وأن من فرق بينهما فلجهله وضلاله وغلطه كما صرح بذلك فى هذه الصفحات من كتابه المذكور (٣٨) و (٥٨) و (٦٧) و (٧٠) و (٧٧) و (٧٨) و (٩٧)

فانظر كيف رمى بهذا الأمر الفظيع وهو تضليله للمفرقين بين الله وبين خلقه كل رسول أرسله الله إلى الخلق وفى مقدمتهم محمد صلى الله عليه وسلم فضلا عن أئمة الهدى ومصابيح الدجى فإن زبدة ما جاءت به الكتب السماوية والرسل العظام هو توحيد البارى واعتقاد انفراده بجميع معانى الكمال المطلق الذى لا تدركه العبارات ولا تتصوره الأفكار وأن جميع المخلوقات فى العالم العلوى والعالم السفلى لا يمكن بل يستحيل ويمتنع أن يساووا رب العالمين وأن يماثلوه فى صفة من صفاته ولا نعت من نعوته وأن أظهر القضايا الدينية والعقلية والفطرية هو التفريق بين الخالق والمخلوق فى كل النعوت فالرب هو الخالق وما سواه مخلوق وهو الرزاق المدبِّر وما سواه مرزوق مدبَّر وهو الأول الذى ليس قبله شىء والآخر الذى ليس بعده شىء والعليم بكل شىء والقدير على كل شىء والعزيز بكل معانى العزة والحكيم الجامع لمعانى الحكمة والعظيم الذى له جميع صفات الكبرياء والعظمة إلى غير ذلك من نعوت جلاله وصفات كماله والمخلوق حادث بعد العدم له أول وآخر وهو ضعيف العلم ضعيف القدرة والله تعالى هو الذى أعطاه ما أعطاه من علم وقدرة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فأعظم الخلق وهم الرسل والملائكة قد اعترفوا أنه لا علم لهم إلا ما علمهم الله فمن سوى بين الله وبين خلقه فلا يعدو إما أن يكون أعظم الخلق جهلا وضلالا واغتراراً وإما أن يكون منكراً لرب العالمين جاحداً له من كل وجه يريد أن يخادع ويماكر بإظهار الإيمان به . فهذا الكاتب خادع ومخدوع بما رآه فى تفوق الأمم المتقدمين فى الصناعات والاختراعات والفنون العصرية وأنهم لما مهروا فى علوم المادة والطبيعة فلا بد أن يصلوا إلى العلوم التى لا يعلمها إلا الله ويقدروا على ما ليس فى وسع الخلق وطاقتهم القدرة عليه إن جاز أن يظن هذا الظن ، فليعلم إن كان لم يعلم أن الله تعالى خلق الإنسان فى هيئة وخلقة قابلة للترقى فى العلوم والأعمال التى هى فى طوره وطاقته وأمده بالعقل والفكر وإرشادات الرسل ومن سلك سبيلهم فى هداية الخلق وهيأ له الأسباب التى توصله

إلى أعلى ما يمكن الوصول إليه من الأطوار البشرية وجعل له حداً ينتهى إليه ويتعذر عليه مجاوزته جعله يترقى فى أشرف العلوم وهو علم التوحيد والعقائد والأخلاق والأحكام وفى علوم السياسة وتدبير الأمم وطبقات الناس وسخر له هذا الكون يستخرج آثاره ويستمد بقواه على صنائعه ومخترعاته فحصل للناس فى هذه الأمور ارتقاء إلى حيث هيئ لهم كل على حسب مشربه أما الرسل وورثتهم من العلماء الربانيين والأئمة المصلحين الهادين المهديين فشربوا من العلوم الدينية وتغذوا بالمعارف الربانية المصلحة للقلوب والأرواح المرقية لها إلى أعلى الدرجات وأكمل السعادات وكملوا ذلك بعلوم الأحكام ومعرفة الحلال والحرام وعلوم المعاملات والحقوق المتنوعة بين الناس المبنية على كمال العدل والقسط والصلاح والإصلاح ومعرفة الفنون السياسية وجميع العلوم المعينة على الدين المصلحة للأحوال الجالبة للمنافع الدافعة للمضار حتى صاروا هادين مهتدين، بهم يهتدى المهتدون وبإرشاداتهم يقتدى الصالحون فلم يصل لأحد علم ولا معرفة ولا خير إلا على أيديهم وبهدايتهم وعلومهم ومعارفهم توزن العلوم والمعارف وبأخلاقهم وأعمالهم يتبين الصالح من الفاسد فبلغوا شأواً وغاية لم يصل إلى قريب منها أحد من الأولين والآخرين وصار الواحد من أتباع الرسل وأئمة الهدى لو قيس به جميع من يعظمهم هذا الكاتب ويخضع لمعارفهم وأحوالهم من أئمة الملاحدة لم يصلوا إلى عشر معشار ما أوتيه من القوة العلمية فضلاً عما يترتب على ذلك من أحوال القلوب والإنابة إلى الله تعالى وكل من له معرفة يشهد بذلك والكاتب اعترف به وشهد به حيث ترجم لشيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه الصراع ترجمة حافلة وفضله على جميع العلماء وأنه بزهم بسعة علمه وقوة إرشاده وسعة إطلاعه ومهارته العجيبة لا فرق بين المسلمين منهم والمبطلين ولكنه كذب نفسه وتناقض فى هذا الكتاب ثانيا ويحه المسكين أنى يؤفك ويصرف عن الحق . وأما فى هذا الوقت الأخير فقد جدت الأمم الأفرنجية والأمريكية ومن تبعهم واجتهدت فى الفنون العصرية وطرقت لها أوقاتها

وراحاتها وأقبلت عليها إقبالا عظيما فبلغت هذا المبلغ الذى لم يصل إليه أحد وهى جادة فى السير إلى تكميل فنونها وستصل بحسب ما يرى إلى ما تصل إليه قواها ومداركها. وأما كون معارفهم لا منتهى لها وأعمالهم لا حد لها وأنها ستزاحم رب العالمين وستعلم كل شىء وتقدر كل شىء فهذا أمر يعرف بطلانه ببداهة العقول، نعم هى قد توصلت من علوم المادة الأرضية والحيوية وتسخير القوى السفلية إلى أمور لا يمكن إنكارها أما كونها تصل إلى عالم السموات والعالم العلوى وعلم ما كان وما سيكون مما لا سبيل لها إليه بوجه من الوجوه أو أنها ستتمكن من إيجاد الحيوانات ونفخ الروح فيها فهذا ممتنع فى العقول الصحيحة كما أنه ممتنع فى الشريعة فإن الله تفرد بغيوب لا يعلمها نبى مرسل ولا ملك مقرب فضلا عن غيرهم وتفرد تعالى بأنه هو الذى يميت ويحيى لا يشاركه فى ذلك مشارك من أهل السماء وأهل الأرض، فهنا يقال على سبيل التحدى لأى مخلوق يكون: قد صنع هؤلاء المخترعون وأهل المهارة فى علوم المادة الصور والصنائع المدهشة فهل فى إمكانهم إيجاد بعوضة أو غيرها أو يردوا الروح إذا بلغت الحلقوم إلى موضعها ويقال أيضا الأمم قد أوجدت المراكب البرية والبحرية والهوائية وسخروا مادة الكهرباء حيث يريدون ويشاؤن وفعلوا كذا وكذا مما هو داخل فى قدرة الإنسان وحللوا العناصر الكبار والصغار فهل فى إمكانهم أن يوجدوا أصغر مخلوق وهل لهم طريق إلى العلوم الغيبية التى انفرد الله بعلمها فهل عندهم علم متى يجىء المطر ومتى يموت الصحيح وما مقدار عمره وماذا يكسب الخلق فى مستقبلهم على سبيل العلم الجازم. ونهاية ما عندهم التكهنات والتخرصات بحسب ما يشاهد من الأسباب وهل لهم سبيل إلى العلم بأحوال البرزخ والآخرة مما أخبرت به الرسل وكيفية ما فيهما. وعند هذا الكاتب أن الإنسان لا يتعذر على علمه ولا على قدرته شىء فتأمل هذا القول الذى لم يصل إليه أحد من العقلاء ولا الحمق. وفى كتابه فى مواضع متعددة اعتراف بانفراده عن الناس بكثير مما ذكرناه ونذكره عنه من الأقوال الباطلة وأنه أدرك ما لم يدركه

الرسل وأتباعهم، وهذا مع ما فيه من العجب والاغترار البالغ والكذب الصراح اعتراف بالشذوذ ومخالفة العقلاء كلهم وهـذا من التجرى والافتراء بمكان سحيق فالمشركون واليهود والنصارى لم يجرؤا على ما يقارب هـذا القول وقد اتفق جميع المثبتين للخالق من أهل الأديان وغيرها أن المخلوق لا يمكن أن يساوى الخالق بوجه من الوجوه ونهاية ما بلغ شرك المشركين أنهم جعلوا لهم آلهة يزعمون أنها يعمل لها من العبودية مايستحق الله مع اعترافهم أنها مخلوق عاجزة ناقصة وأنهم ما عبدوهم الا ليقربوهم الى الله زلفى فتباً لمن صرح بمقالة يتحاشى ويتنزه عنهـا اليهود والنصارى والمشركون. وأما قصور هؤلاء المتأخرين فى علوم التوحيد والدين مع مهارتهم فى فنون الطبيعة فهذا من آيات الله وبراهين قدرته أن تجد أناساً فى غاية الذكاء والبراعة وقد أدركوا من العلوم والفنون العصرية ما عجز عند الأولون وحار فيه الآخرون ثم هم مع هذه البراعة والذكاء المفرط فى هـذه الأشياء تجدهم فى غاية الجهل والقصور العظيم والضلال البعيد عن العـــلم بالله وتوحيده وما يستحقه من العظمة والجلال وتجدهم يشاهدون من خوارق علم الإنسان ما تخبرهم به الرسل عن الله وأخباره وغيوبه وأحوال الجزاء وهم مقيمون على الكفر والتكذيب أفبِقُدْرة الإنسان يؤمنون وبقدرة الملك العظيم يكفرون؟ فهؤلاء برعوا فى أمور خاصة ضئيلة بالنسبة الى العلوم النافعة والمطالب العاليه التى لا سعادة للخلق ولا فلاح لهم الا بها وعموا عن المقاصد فبذلك يعلم أن الأمر أمر الله والقضاء قضاؤه وان اعجاب الإنسان بنفسه وتيهه بمعارفه الضئيلة أكبر حجاب بينه وبين الله وأنه ان تخلى عنه طرفة عين هلك وشقى .

ومن فروع غلوه فى الطبيعة أن أدعى وكابر وكذب ما جاءت به الرسل وأخبر الله به فى كتابه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم عن آدم أبى البشر وزوجه وعدوهما ابليس وما قص الله من أنبائهم فتجرأ هـذا الرجل وترك ما أخبرت به الرسل والكتب السماوية وسلك مسلك ملاحدة الطبائعيين الذين نظروا نظرية خرافية تسمى نظرية

دارون الإنكليزى مآلها تسلسل الإنسان عن القرد والقرد عن كلب أو حيوان دونه وهكذا خطأهم فيها قومهم فضلا عن الرسل وأتباعهم حيث زعم أن الإنسان الأول فى طوره شبيه بالحيوان أو هو الحيوان وأنه بقى مدداً طويلة ملايين أو ملايين الملايين حساباً جزافا لاينطق ولا يحسن الخطاب ولا يرد الجواب وانما يتناعتون ويتصايحون تصايح الأجنة فى أول وضعهم من بطون أمهاتهم وأنهم مكثوا تلك المدد العظيمة وهم على هذا الوصف ثم انهم ارتقوا عن هذا الانحطاط فتمكنوا من الإشارات وصار بعضهم يشير الى بعض من غير أن يهتدوا الى نطق ثم مكثوا ماشاءت الطبيعة ـ الا ماشاء الله عنهم ـ حتى ترقوا فصاروا يتمكنون من النطق فلم يصلوا الى هذا الطور حتى مضت عليهم أحقاب بعد أحقاب وهذا مع ما فيه من تكذيب جميع الكتب والرسل فإنه أخبث التخرصات وأبعدها عن الحقائق فأى طريق دلهم على هذا التخرص الباطل وأى سند أوصلهم الى هذه الجراءة ولكن يأبى الله تعالى إلا أن يفضح النابذين لدينه المكذبين له ولرسله تركوا علوم الرسل والحقائق اليقينية وتبعوا التخرصات وما خرصوه وتخرصوه فى الحفريات وما يجدونه من جثث بعض الحيونات فبعداً لمن اختار هذه الخرافات والخزعبلات على ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يكذبون الله ورسله ويؤمنون بكل شيطان مريد .

ثم انظر الى المبحث الأخير من كتابه الذى عنوانه (المشكلة التى لم تحل) فى صفحة (٣١٥) وما بعدها الى آخر كتابه كيف أتى فيه بالطامات والفظائع وأنكر المنكرات وكيف حاول وصرح بأن الإيمان بالله وإثبات وجوده وربوبيته وأفعاله من أشكل المشكلات وهى أصل الأمور وأوضحها وأجلاها براهين ثم صرح بهذه الجراءة التى ما وصل إليها أحد من البشر إلا فرعون وأشباهه الذين أنكروا رب العالمين وجحدوه بالكلية . وقد صرح أن الأولين والآخرين لم يحلوا هذه المشكلة فجميع الكتب المنزلة من الله التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وجميع ما قالته الرسل عموماً

وقاله سيدهم وإمامهم خصوصاً وجميع العلماء الربانيين والهداة المهتدين والحكماء والأساطين الجميع عنده لم يعرفوا الإيمان بالله ولم يحلوا هذه المشكلة التي زعمها فبقيت عند هؤلاء مشكلة الإيمان في غاية الإشكال والتعقيد عندهذا الكاتب قبحه الله ما أعظم هذه الطامة وما أشنع هذه الجراءة على الله وعلى رسله وكتبه وعلى جميع أهل العلم كيف طاوعته نفسه على هذه الطامة الكبرى وكيف لم يكن له عقل يحجزه ويردعه عن هذه الشناعة التي صار بها مضرب المثل في الإلحاد الجنوني والزندقة المتقنة سبحان الله العظيم وصدق رسوله النبي الكريم هذا الدين العظيم الذي وضح الحقائق الأصولية والفروعية وعلوم الباطن والظاهر والعلوم المتعلقة برب العالمين والمتعلقة بالمخلوقين بين كل شيء وإوضح كل شيء وهذا الرسول الكريم الذي هو أعلم الخلق على الإطلاق وأكملهم في جميع المعاني والصفات إذا قصر هذا الدين وهذا الرسول عن بيان هذا الأصل الذي هو أصل الأصول والأساس الأكبر لأمور الدنيا والآخرة فأي شيء بين ووضح وإلى أي شيء هدى وأرشد واذا لم يحل ما زعمه هذا المفترى مشكلا فأي مشكل حله وأي علم أبانه ووضحه . لقد كان هذا الدين على زعم هذا الكاتب من أعظم النكبات على البشر نقول على زعمه على وجه الإلزام وقد صرح بذلك في مواضع من كتابه وعلى زعمه ما زاد الناس هذا الدين الكامل ولا الرسول المظيم الا شراً ولا أوقعهم الا في أعظم الضرر فسبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً . هذا الأصل الكبير قد وضحه الله في كتابه ووضحه رسوله توضيحاً حتى بلغ من وضوحه ان كان أظهر من الشمس في رابعة النهار وأبلغ من جميع المسائل كلها فلا يوجد في الدنيا أي مسألة الا وكان بيان هذا الأصل أعظم من بيانها وبراهينه وأدلته أكثر من براهينها وأدلتها. لقد كاد الكتاب والسنة أن يكونا تأصيلا وتفصيلا لهذا الأصل العظيم وأما البراهين العقلية والفطرية فكلها متفقة على الاعتراف بالله حتى المشركون الذين يجعلون معه مخلوقات يدعونها ويصرفون لها شيئاً من العبادة معترفون أن الله هو

الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور ، وقد قالت الرسل أفى الله شك وقد عظمت هذه المسألة أن يبرهن عليها كما قيل :

وليس يصح فى الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وهذا المفترى بعد المحاوله والمجاولة وترديد الكلام والهذر الذى لاحاصل له زعم أنه انفرد بحلها فاستنتج بعقله الجنونى وجراءته العظيمة أن حلها الوحيد هو أن ينبذ الناس الإيمان وراء ظهورهم ويكونوا معانقين للطبيعة منسلخين من الدين والشريعة بالكلية وأنهم إذا فعلوا ذلك فقد حلوا هذا اللغز المعقد ، وإن بقى عليهم بقايا من الإيمان فإنهم فى قيود وأغلال قد تعذر عليهم النهوض والرقى . فياويحه أين قوله إنه مؤمن بالله وبكل ما أخبر به ، وهل بلغ أحد من الملحدين هذه الهاوية السحيقة. لقد وضح كل الوضوح وزال الإشكال أن هذا الرجل مخادع قد سلك نهجاً جديداً فى الدعاية الإلحادية . أتى على جميع الأديان من أصلها ليزيلها ويقلعها . فهو بهذه الدعاية قد تصدى لمحاربة الأديان السماوية كلها ، ويحه المسكين الذى أضحى فريسة الملحدين إذا لم يثبت أصل الإيمان فأى شيء يثبت ، وإذا لم يؤمن بالله فبأى شيء يؤمن (فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون) فمن وصلت به الحال إلى هذا الحد من الجحد لم يبق للكلام معه فائدة لأن المكابر المباهت تريه إظهار الأشياء فينكرها .

يزعم هذا الكاتب أن إيمان المتدينين يمنعهم من مباشرة الأسباب وإن باشروها فعلى وجه ضعيف . هذا حاصل المعنى الذى طول فيه الكلام وردده واستنتج منه أنه يتحتم على الناس رفض الإيمان بالله وبأقداره حتى يخرجوا من غلهم وحبسهم وينطلق أسراحهم . لقد صدق هذا الكاتب فى أن الإيمان حبس لهم ،ولكن عن التهتك فى الأخلاق الرذيلة وعن الانهماس فى الفجور والفواحش الظاهرة والباطنة وقيد لهم عن التجرى على الظلم للخلق فى دمائهم وأموالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ، وأن أهله لا يمكن أن يكونوا إباحيين ما داموا متمسكين به ! لكن بتركه والإعراض عنه تنحل عنهم

القيود الشرعية فيصيروا كالبهائم وتكون أمورهم فوضى ، وهذا ما أراده هذا الكاتب وهو يعلم حق العلم أن هذه الثمرات الجليلة من أعظم محاسن الدين وأجل ثمراته ولكنه يسعى أحث السعى لقطعها (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) . فهذا الرجل لم يسلك مسلك الحذاق من الملحدين الذين يموهون بأشياء تروج على كثير من الناس ، ولكنه جاء إلى أظهر الأشياء وأجلاها وأوضحها فأنكره غاية الإنكار وكابر فيه أعظم مكابرة . زعم أن الإيمان بالله يضعف القوى ويوهن العزائم ؟ والحال أنه لا تقوم القوى كلها ولا تنهض إلا بالإيمان بالله فانه لا حول ولا قوة إلا بالله فكل حول وقوة مستمدة من حول الله وقوته ، والعبد إذا وكل إلى نفسه فقد وكل إلى ضعف وعجز ونقص من جميع الوجوه فالمؤمنون بالله حقاً هم أقوى الخلق قلوباً وأبلغهم شجاعة وأصبرهم على المكاره وأثبتهم فى المواطن الحرجة لإيمانهم الكامل بالله ورجائهم لثوابه وخوفهم من عقابه . فالإيمان هو مادة كل خير وكل صلاح وإصلاح وبه تندفع شرور الدنيا والآخرة . ثم مع ذلك الترويج والجحد للايمان بالله يباهت فيزعم أن أهل الدين لا يمكنهم فهمه على وجهه . فعلى قوله لم يفهمه الصحابة والتابعون لهم باحسان ولا العلماء الربانيون ولا سائر أهل العلم من المسلمين وحيث لم يفهموه عنده يتعين عليهم رفضه والأخذ بطريقة الملحدين فأين الإيمان والإسلام الذى يدعيه هذا الرجل ويزعم أنه يغار على المسلمين وهو متصد لمحاربتهم ومحاربة دينهم ، وأين العقل الذى يبق على صاحبه ويجعله متماسكا بين الناس فان هذا تهور واستهتار ومناداة على عقله بالسفه والجنون (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) وهو مع هذا يبدى ويعيد فى الاستهزاء بشرائع الدين وبأهله وحملته على وجه الوقاحة كدأب الحمق والمجانين فالمؤمن يحمد الله على العافية من هذه البلية العظمى والمصيبة الكبرى ويسأل الله أن لا يزيغ قلبه ولا يجعله مثلة بين الخلق ، وأن لا يكون كمن آتاه الله آياته فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ومن بهرجات هذا الكاتب حين قرر أن المسلمين لا يفهمون دينهم ولا يمكنهم

فهمه على حقيقته استشهد على ذلك بما قصه عن الرازى والآمدى وابن أبى الحديد، وأمثالهم من الحائرين فى معرفة الله وإن كان بعضهم قد تراجع عن حيرته. فزعم هذا الكاتب أن المسلمين كذلك حائرون لايهتدون إلى أصول دينهم ولم يعلم أوعلم وتجاهل أن هؤلاء الحيارى إنما حاروا فى معرفة الله حين رفضوا علوم الدين فى هذا الباب وتركوا مادل عليه كتاب الله وسنة رسوله وأن حيرتهم فى هذه الحال من أدل الدلائل على كمال الدين وأن كل من ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهذه صفة لكل من كذب بالحق وتركه لا بد أن يمرج أمره كما قال تعالى: (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج) فانظر إلى هذا الرجل كيف لما كذب بالحق وترك الإيمان بالله ورفضه ودعى الناس إلى رفضه كيف تقلبت به الأحوال ولعبت به الأهواء، وصار ينادى ويدعو إلى الإلحاد بعد ما كان يدعو إلى دين رب العباد فالمسلمون ولله الحمد قد فهموا الإيمان فهماً كاملا أعظم من فهم أى قضية كانت، فهم أعظم الناس يقيناً واثبتهم ايماناً وأصحهم اعتقاداً لأنهم آمنوا بالله وصدقوا المرسلين واستقاموا على الصراط المستقيم حيث عدل غيرهم عن هذا الطريق.

ومن فروع نبذه الإيمان بالله وبما أخبر به على ألسنة رسله إنكار الملائكة والجن والأرواح وسياقه لهذا الإنكار بأساليب تهكمية وعبارات سخرية بما أخبر الله به وأخبرت به رسله ونطقت به الكتب واعترف به علية الخلق وسائر أهل الأديان السماوية وجاءت به نصوص الكتاب والسنة فى نصوص كثيرة زادت على التواتر فأقر بها المسلمون واعترفوا بها وبكل ما أخبر الله به ورسوله عن الملائكة والجن وعن أحوال الروح فى البرزخ وغيره ولم ينكر ذلك إلا جاحد ملحد مكذب لله ورسوله، وقد تحاذق هذا الرجل حين نصر قول من كذب بهذه الأصول العظيمة فجمع كل ما يقدر عليه فى كتابه من خرافات الخرافيين عن الجن والأرواح ونسب ذلك إلى المسلمين ليتوسل به إلى القدح فى الدين ظناً منه أنه يروج على الناس، ثم لما قرر هذا التكذيب بعبارات

كثيرة فى صفحة (٢٠٠) وما بعدها شبغى أن الناس لابد أن يقولوا هذا كلام مكذب بالملائكة والجن والأرواح فقال نفاقاً : ليعلم بعد هـذا أنا ممن يؤمنون بالأرواح والملائكه والجان وبما أخبر الله به إلى آخر ما قال . فانظر إلى هذا التناقض والهرجة التى لا تخفى على من له أدنى عقل ، ولـكن من غروره بنفسـه يحسب أن الباقى كالبهائم . ومن كذب بالمدبرات أمراً وتهكم بما يذكر فى الكتاب والسنة ويذكره أهل العلم من أنواع التدبيرات فى العالم العلوى والسفلى التى تتولاها الملائكة بأمر الله لم يستغرب بعـد ذلك تكذيبه بتأثير العين وتحريف النصوص الواردة فيها وتفسيرها بما لم يفسرها به مسلم بل ولا عاقل ، ومن كانت هذه الأصول عنده ترهات وخيالات لم تستغرب عليه ما نصره من سفور النساء وإيجابه لمخالطتهن الرجال الأجانب فى جميع المجامع الصغار والكبار وأنه ليس للرجال عليهن درجة ولا لهم فضل عليهن وأن هذا السفور والتهتك يزعمه هو عين الصلاح ، وأنه لا يمكن إصلاحهن وثقافتهن وتعليمهن إلا بهذه الطريقة السافلة ، وأن خيار المسلمين من القرون الماضية من الصحابة والتابعين ومن تمسك بهديهم إلى اليوم من خيار المسلمين أن هؤلاء كلهم من أولهم إلى آخرهم من الجهلة الهمج حيث صانوا نساءهم عن التبرج والتهتك . ثم باهت فى ذلك ناقلا مستحسناً أن الشر الحاصل من النساء المصونات المحفوظات بحفظ الله ثم بحفظ أوليائهن أهل الغيرة على الدين وشرائعه أعظم من الشر الحاصل من النساء المتهتكات المزاحمات للرجال فى جميع ميادين الحياة . ثم نقله القبيح واستحسانه فى هذا الموضوع كلام الساقطين من الإباحيين الذين لا يرون شيئاً حراما خبيثـاً بل ما اشتهاه الإنسان فعله ولا قبيح عندهم إلا ما لم تشتهيه النفوس كما نقله فى صفحة (١٠٣) وما بعدها فيا ويح هذا ، ماذا ترك للفضائل الدينية والآداب الدينية والصيانة الإنسانية لقد رفضها كلها ، وهذه الطريقة التى استحسنها هى الطريقة الوحيدة للاباحية إباحة جميع ما حرم الله من الشرك والفواحش والمنكرات . إذا تقررت هـذه المباحث الخبيثة والمنافية للدين من

كل وجه الدالة على انحراف عقل صاحبها بعد انحراف دينه فلا تستغرب بعد هذا رده وتكذيبه للأدلة الشرعية وتحريفه لنصوص الكتاب والسنة وترويجه بجمع الأحاديث الصحيحة مع آثار باطلة فيرد الجميع وتفسير النصوص بغير تفاسير المسلمين نصرة لباطله وإنما هى من جنس تحريفات القرامطة الباطنية ، ولنذكر نموذجاً يسيراً من هذا النوع ليعرف بذلك إلحاد هـذا الرجل فمن ذلك قوله فى قوله تعالى : (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) ذكر فى صفحة (٤٤) أن معناها أن الله نعى على المسلمين الموجودين وقت نزول القرآن ويعاتبهم كيف لا يبصرون ما فى أنفسهم من الآيات وأن الصحابة والقرون المفضلة ومن بعدهم من علماء المسلمين انطوت قرونهم، والعتاب موجه إليهم واللوم يقرعهم لكونهم لم يبصروا ما فى أنفسهم من الاستعداد لاستخراج كنوزها ولا لاستخراج كنوز الأرض حتى جاء هذا الوقت فانطبقت عليهم هذه الآية (وكانوا أحق بها وأهلها) لكونهم العاملين بها حيث عمى عنها الأولون وعلموها حيث جهلها السابقون فهـذا التطبيق تحريف لم يسبقه إليه أحد من المسلمين ولا ممن يدعى الإسلام ومعناه الجلى عند هـذا أن ملاحدة الأمم أكمل وأفضل وأعظم عملا بهذه الآية من السابقين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى آخر الوقت . سبحانك هذا بهتان عظيم . ومن تحريفه لحديث : ولايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به إلى آخر الحديث . قال فى صفحة (٤٠) إن الحديث يدل على أن العبد غير مقيد وأنه لا يمتنع على قدرته شىء وأنه لا حد يقف عنده علمه وقدرته . نزله على ذلك المبحث الخبيث السابق أن العبد فى إمكانه مزاحمة رب العالمين فهذا الإلحاد والتحريف لكلام الله وكلام رسوله لم يقل أحد ما يشبهه إلا الملاحدة من أهل وحدة الوجود ومعنى الحديث معروف ولله الحمد بين المسلمين أن ذلك يدل على تسديد الله وتوفيقه ومعونته الخاصة لعبده القائم بمحبوباته من الفرائض والنوافل . ومن ذلك

ما قاله على قوله تعالى (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) في صفحة (٦١) محتجاً بها على قوله الباطل حيث زعم أن علم الإنسان محيط بمبادى خلق هذا العالم فانه يزعم أن الآية لا تنفى العلم حيث قال ما أشهدتهم ولم يقل ما أعلمتهم وزعم أنهم كانوا عالمين وإن لم يكونوا مشاهدين ، وهذا لم يقله أحد من المفسرين . أما تفسيرها المعروف عند المسلمين فهو أن الله أنكر على الكافرين به المكذبين لرسله الذين زعموا أن أحداً من المخلوقين يستحق من العبادة والخضوع ما يستحقه الله فكذبهم الله وأخبر أن جميع الخلق ليس لهم مشاركة لله بوجه من الوجوه فلم يشهدهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وهذا نفى لطرق العلم كلها يعنى فليس لهم سبيل إلى ذلك فانهم إذا لم يشهدوا ذلك فهم لم يعلموه وإذا لم يعلموه فشهادتهم ودعواهم لاستحقاقها العبادة دعوى فى غاية البطلان والتقول على الله تعالى وهى نظير قوله تعالى (وما كنت بجانب الغربى) الآيات . ومن تحريفاته التى تقشعر منها الجلود ما ذكر فى صفحة (٦١) و (٦٧) على قوله تعالى (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) أن المراد بذلك القرن الذى أنزل عليهم وأوائل هذه الأمة القرون المفضلة من الصحابة والتابعين لهم باحسان وأن معناها أن علومهم لم تصل إلى بواطن الأشياء وإنما علمهم بسيط جداً وأنهم فى ذلك الوقت فى طور الطفولية بل فى طور قريب من طور الحيوانات ولم يبلغوا رشدهم وإنما الذين بلغوا رشدهم عنده ملاحدة هذا الزمان الذين علموا من علوم المادة ما لم يعلمه الأولون لأن العلوم النافعة عنده هى الفنون العصرية فقط ، وأما الأصول والعقائد وعلوم الأخلاق وتوابعها التى علم الطبيعة فرع من فروعها فإنها على قول هذا ليست من العلوم التى يؤبه لها وكفى به خذلاناً أن تصل به الحال إلى هذا والآية ولله الحمد واضحة لا إشكال فيها وأن هذا وصف للكافرين المكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم أخبر تعالى أن علومهم ظاهرة يعلمون ظاهر الحياة الدنيا دون باطنها وأنهم فى غفلة عن الآخرة فهذا السبب الذى أوجب لهم رد ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم

وإلا فلو علموا ظاهرها وباطنها المقصود منهـا لبادروا إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم كما فعله أهل العلم الحقيقى الذين بادروا لما رأوا الآيات البينات إلى الإيمان به لـكن هذا الرجل يطبق هذه الآية على خيار الخلق وأكمل القرون على الإطلاق ويسخر من العالمين بباطن الدنيا المستعدين للآخرة القائمين بعبودية الله الجاعلين الدنيا وسيلة إلى الدين ، وهو يريد ويحاول فى كتابه هذا أن تكون الدنيا هى المقصودة والغرض الأصلى وأما الآخرة فإن كتابه هـذا كفيل بتزهيد الناس فيها وفى عبودية الله وفى الجزاء الأخروى ؛ فأى إيمان وأى إسلام وأى عقل صحيح بقى بعد هذا ، ومن ذلك تفسيره لحديث « كل مولود يولد على الفطرة » بأن الفطرة هى الخبث والشر ، وأن الإنسان بطبعه خلق شريراً وان الفطرة معناها أنه مفطور على الشر ويرفض جهاراً تفسير أئمة الهدى لهذا الحديث بأن معناه هو أن الله فطر عباده على قبول الخير علماً وعملا وأن الله تعالى جعل فى خلقتهم استعداداً تاماً لقبوله نعمة منه وفضلا كما قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولـكن أكثر الناس لايعلمون منيبين إليه) الآية ويلزم على قوله أن يستدرك على النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فيقال وأيضـاً لم قلت أو يجعلانه مسلماً لأن قبوله للجميع على حد سواء عند هـذا ، وفى نفس الحديث والآية الـكريمة حيث قال كالبهيمة الجماء هل تحسـون فيها من جدعاء حتى تـكونوا أنتم تجدعونها أى كالبهيمة التى تولد مجتمعة الخلق كاملة الأعضاء حتى يجدعها الناس بقطع الآذان أو بعض الأعضاء كذلك الآدمى خلقه الله مفطوراً على الاستعداد لمعرفة الحق وقبوله فلو ترك وفطرته ولم يعرض له ما يغيرها من التربية السيئة لمـا اختار غير الدين الحق وعند هذا أن الفطرة معناها الشر والهمجية وهذا مناف للآية والحديث ، ومن أعظم الجرأة جراءته على قوله تعالى فى صفحة (٦٦) (وتراهم ينظرون إليـك وهم لا يبصرون) قال يعنى بذلك الذين اجتمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وآمنوا به من

الصحابة الذين هم خيار الخلق وأعلمهم جعلهم هذا الرجل ينظرون الظواهر ولا يبصرون البواطن فهم فى طور الأطفال كما تقدم التنبيه على هذا مراراً ، وهذا من جنس تفاسير الزنادقة من الباطنية والاسماعيلية والقرامطة والآية الكريمة عند جميع المسلمين معناها ظاهر ، وأن هذا وصف للكافرين بالرسول أو وصف للأصنام فمعناها : أن الكفار تراهم ينظرون إليك نظراً ظاهراً وهم لا يبصرون ما فيك من المعانى الجليلة والأوصاف الجميلة والآيات التى تدل أكبر دلالة أنك رسول الله حقاً ؛ أو أن هذه الأصنام صور بلا أرواح تراها كأنها تنظر إليك وهى لا تبصر لأنها جمادات . ومن ذلك حق المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث الذى فى مسند البزار أكثر أهل الجنة البله . فزعم أنهم بذلك يمدحون البلاهة ويحثون عليها ، وجمع لى هذا خرافات الخرافيين ونسبها لحملة الشريعة ورجال الدين وكذب الحديث المذكور وتفسير الحديث ظاهر عند المسلمين: فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل أهل الجنة البله ؛ أو لا يستحق الجنة إلا البله بل قال أكثر أهل الجنة البله فهم لسلامتهم من الغل والحقد والصفات الذميمة صاروا مستحقين للجنة لئلا يظن الناس أن أمثال هؤلاء أن الله لا يرفع قدرهم ؛ مع أن فى كتاب الله وسنة رسوله من الثناء على أهل العقول وأولى الألباب . والأحلام والنهى والآراء الرزينة والحث على كل أمر فيه زيادة اللب والعقل فكم فى كتاب الله وسنة رسوله من ذلك من النصوص ما يدل على ذلك فلا منافاة بين الأمرين ؛ فالدين يحث على السعى فى تكميل العقول ويثنى غاية الثناء على أولى الألباب ويخبر أنهم خواص الخلق ومع ذلك فكل من آمن وعمل صالحاً ولو لم يصل إلى درجتهم من البله الأغرار فإنهم سعداء فان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

ومن العجائب تنزيله الحروب الحاضرة بين الأمم الأفرنجية والأمريكية وتوابعهم على قوله تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) فجعلها المراد من الآية وقد أجمع المسلمون على أن المراد قتال المسلمين للكفار فهو المكتوب المفروض وهو الذى له الآثار

الطيبة ، وأما هذه الحروب التى بنيت على الجشع والظلم والقسوة وعدم الرحمة فأين خيرها وآثارها الطيبة وقد عمت البسيطة هلاكا وفناء وتدميراً وهى لا تسكن فى وقت إلا للإستعداد لمجازر وشرور ينسى آخرها أولها . فهاويح من ألحد فى آيات الله .

ومن تحريفاته لحديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه بغسل واحد . قال فى صفحة (١٢٠) ان ذلك مجرد دوران لا مسيس معه وتهكم بأنس وغيره ممن يفسرون ذلك بالمسيس الذى هو معنى الحديث عند جميع المسلمين حتى جاء هذا الرجل فأنكر عليهم وكذبهم وهذا الوهم الكاذب منشأه أنه ميراث ممن ورثوا القدح فى الأنبياء بكثرة الأزواج . فأنزل الله منكراً ومكذباً لهم قوله تعالى : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) الآية وأى نقص فى كثرة أزواجه وفى قيامه التام بحقوقهن وذلك من أجل مناقبه حيث كمل الحقوق الكثيرة التى عليه وحيث كان فى زوجاته من المنافع والمصالح للأمة ما لا يعد ولا يحصى . ومن جرأته العظيمة ما ذكره فى صفحة (١٢٦) وما بعدها من الصفحات من تكذيبه لجميع النصوص الواردة فى الزهد فى الدنيا والصبر على البلاء والفقر وهى جزء كبير من أجزاء الدين كذب ذلك أجمع وباهت بأمر يعرف كذبه به كل أحد ، ثم روج كعادته القبيحة بذكر أحاديث لا زمام لها ولا خطام حشدها فى كتابه وتوسل بها إلى رد النصوص الصحيحة . ورمى جميع المسلمين من أولهم إلى آخرهم بقبول تلك الآثار الساقطة ، وتقدمت الإشارة إلى محاسن هذا الدين وأنه يحث على جميع الوسائل والمقاصد وإصلاح الدين وما يعين عليه من الدنيا بعكس ما كان يسعى إليه هذا الكاتب يحض على الزهد فى الآخرة بل يسخر بأهلها العاملين وبما يذكر من الجزاء الدنيوى والأخروى . ومن انحرافاته الفظيعة ما نقله تفصيلا عن التوراة ليس فى التوراة بل فى الأمثال المنسوبة لسليمان عليه السلام فى الترغيب فى الدنيا ثم قابل بينه وبين ما جاء به القرآن والدين الإسلامى فى صفحة (١٧٧) وما بعدها وغلط القرآن والكتب

الدينية حيث علقت السعادة والفوز والفلاح فى العاجلة والآجلة على العبادة والتقوى والصلاح وفضل ما نسب إلى التوراة فى هذا الموضوع على الكتاب والسنة تفضيلا عظيما بل لم يجعل لهذا الأخير فضلا بوجه من الوجوه بل حمل على هذه النصوص وزعم أنها هى التى خدرت همم الناس وثبطتهم ومنعتهم من الرقى وفيه كالتصريح بإنكار عقوبات الله للدنيوية والأخروية . ومن ذلك فى صفحة (٢٩٦) تهكمه بحديث أنس : « لا يأتى عليكم زمان إلا والذى بعده شر منه » وهو فى الصحيح صحيح البخارى وتهكم به وبنقلته وأنكره إنكاراً عظيما والسبب فى ذلك أصله الخبيث حيث فضل ملاحدة الزنادقة من الأولين والآخرين على الصحابة وخير القرون ، وعرف أن هذا الحديث من الأدلة الكثيرة الدالة على كذبه وبطلان قوله . وزعم أن اعتقاد فضيلة الأولين من الصحابة والتابعين منعت الرقى فهذه الدعاية لنبذ الدين التى يسعى لها هذا الرجل سعياً حثيثاً ويؤصل أصولا خبيثة يرد لأجلها الأصول الشرعية فهذا فى كتابه نهج لهذه الدعاية الإلحادية دعايات كثيرة تارة بتحريفه لنصوص الكتاب والسنة وتارة بالقدح فى الصحابة والتابعين وحملة الدين من خير القرون الذين لم يصل للناس هذا الدين إلا على أيديهم وقد أكثر فيه من الاستهزاء والسخرية العظيمة حتى كادت جميع مباحثه المنحرفة تكون سخرية واستهزاء وتهكما بالدين والشريعة وحملة الدين . فهنا يقف العاقل وقفة تعجب فيقول : هل ترى هذه السخريات والتهكمات الصادرة من هذا الرجل الحامل عليها الإعجاب العظيم بالنفس واحتقار غيره فإنه لا يستغرب فإن الخيالات متى استحكمت فى النفوس تجسمت وصارت لها السيطرة على عقل الإنسان وعدم الإبقاء منه على مكانته بين الناس فلا يستغرب بهذا أن ذكاءه وفطنته اضمحلت فى ضمن هذه السيطرة حتى تلاشت فلم يكن له إحساس بما يصدر منه وأنه وصلت به الحال إلى مايشبه الجنون وعدم الشعور فإن الذين معهم مسكة من العقل المعيشى دع العقل الدينى يبقون على أنفسهم وعلى مكانتهم عند الناس

وفى قلوب من يعظمهم فلا يرضى أحدهم أن تكون السخرية والاستهزاء ديدنة فى الأمور العادية فضلا عن أن توجه إلى دين الله وإلى رسله وأتباعهم . ولكن يأبى الله إلا أن يفضح من تعرض لدينه وشرعه وأوليائه فى الدنيا والاخرة . وإذا كان من جملة مقالاته الشنيعة الفاضحة ما صرح به فى صفحة (٣١٧) بقوله الصريح : (إن المتدينين على اختلاف ديارهم وأزمانهم وأنبيائهم وأمزجتهم وأجناسهم عجزوا أن يهبوا الحياة شيئاً جديدا وأن يكونوا فيها مخلوقات متألقة) ، فهل بعد هذا التصريح بتنقص الديانات السماوية كلها والكفر بجميع الأنبياء وتحقيرهم وتفضيل غيرهم عليهم شىء وهل وراء هذا التقدم الذى السكفر غاية ونهاية ، وكم له فى كتابه هذا من هذا النوع شىء كثير. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . (واعلم) أن عباراته فى هذه المواضيع التى نبهنا عليها كثيرة مكررة بعبارات متنوعة لم ننقلها خوف طول الكلام لغير فائدة ولكننا أتينا بمقاصدها . وأرشدنا لمن يحب الوقوف عليها الى صفحاتها من كتابه الأغلال المطبوع . وكذلك فى رسالتنا هذه لم نكثر من ذكر الايات والأحاديث الرادة لقوله . لأن الكتاب والسنة كلها رد لقوله لأنه نفى جميع أصول الكتاب والسنة وأراد قلعها من أساسها ولأن المقام يقتضى ذلك فإن المناظرة مع من يعظم الكتاب والسنة نوع ومع من لا يراها نوع آخر . ونحمد الله على ما نبهنا عليه فى كتابه من الفظايع والشنايع التى لا يقولها إلا من انتهى إلحاده وكفره لم نستعمل معه فى خطابه الخاص إلا الرفق واللين اتباعاً للكتاب والسنة فى خطاب المحاربين المنحرفين أن يقال قال فلان وفعل فلان . وأما عند ذكر الأقوال الشنيعة فيذكر ما احتوت عليه من الضرر والمناقضة للأديان ومرتبتها فى البعد من الدين وبيان ما على قائلها من الضلال والغى فيكون القدح فيه موجه عليه من أقواله وتبين ما على صاحبها من نقص الدين والعقل والرأى وليس لنا غرض فى شخصية هذا الرجل ولكن لما اعتدى على ديننا الإسلامى وعلى قواعده وأصوله وأسسه وتهكم

به وبجملته وفضل عليهم زنادقة الملحدين وصنع مع المسلمين أعظم من صنيع دعاة النصارى من المبشرين وجب على كل مسلم مدافعته ودفع شره وتبيين أمره والتحذير من طريقته ودعايته بحسب القدرة وإلا فوالله اننا لنأسف أشد الأسف على انقلاب هـــذا الرجل ونعد ذلك من الخسائر علينا حيث فقدناهذا الرجل الذى مضى له من المقامات ونصر الحق ما لاينكر، بل لنا أن نقرأ قول الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) ونسأل الله أن يرده إلى الحق وأن يعيده إلى الإسلام بالتوبة والتنصل مما وقع منه وأن يكتب كتابا فى رجوعه عن هذه المباحث الخبيثة ، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على دينه ، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال ذلك وكتبه الفقير إلى الله عبد الرحمن بن ناصر بن سعدى

حرر فى ٣ من ربيع الآخر سنة ١٣٦٦ ونقلته من خط الشيخ عبد الرحمن بن سعدى.

أنا الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن محمد العوهلى وحرر فى ١٢ من جمادى الأولى سنة ١٣٦٦

بلغ مقابلة على يد شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن سعدى فى ١٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٦٦ .